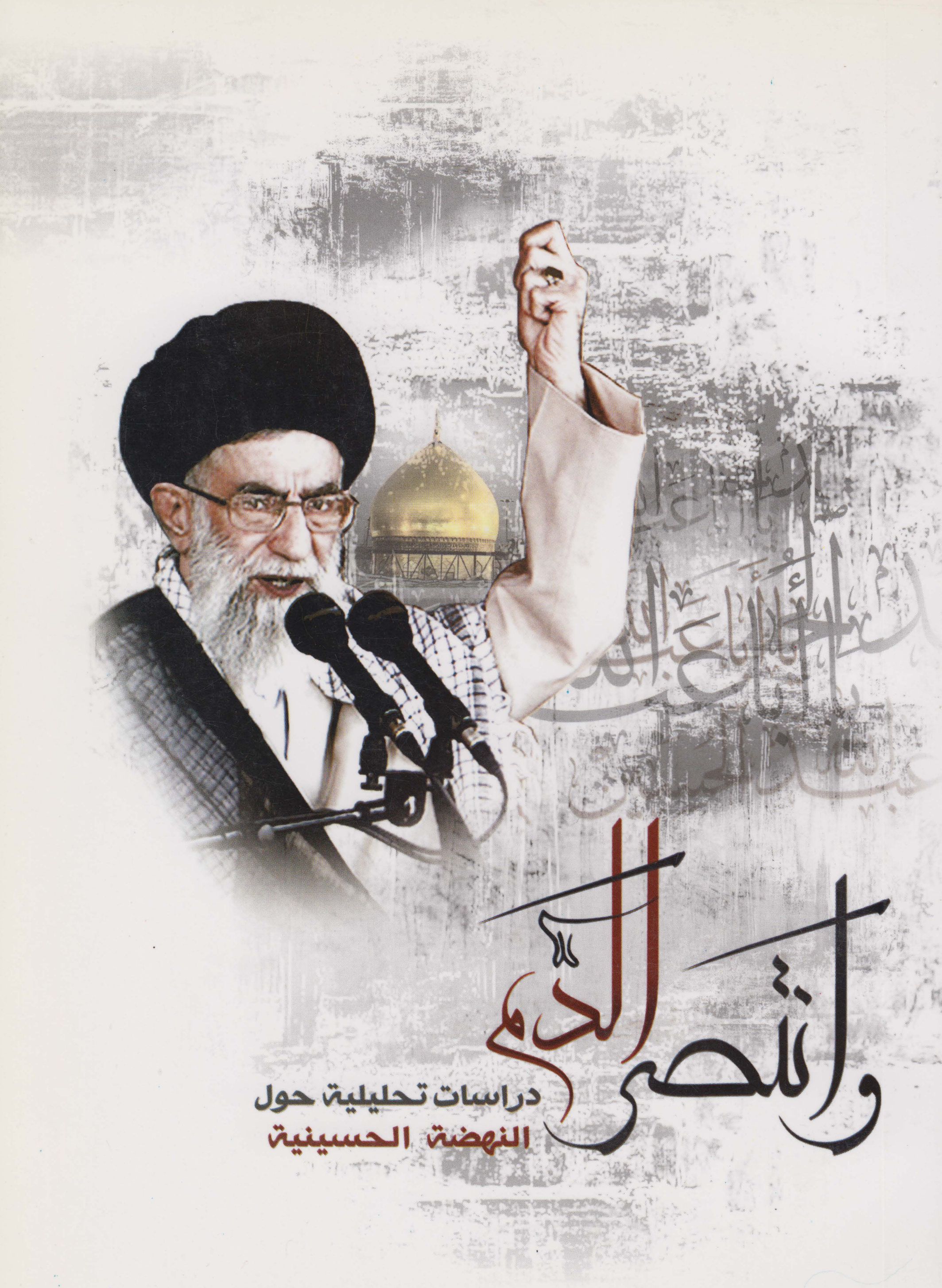


ترجمة و نشر: دار الولاية للثقافة والإعلام


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

وانتصر الدم

دراسات تحليلية حول
النهضة الحسينية

هوية الكتاب

اسم الكتاب:.........................وانتصر الدم

ترجمة ونشر:..............دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:...............الأولى محرم ١٤٣٠هـ.ق ـ ٢٠٠٩م

وانتصر الدم

دراسات تحليلية حول النهضة الحسينية

مختارات من خطب

الإمام الخامنئي دام ظله

ترجمة ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام





اَلسَّلامُ عَلَيْكَ

يَا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَليمِ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عيسى رُوحِ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَلِيِّ اللّٰهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفى

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضى

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ خَديجَةَ الْكُبْرى

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ

وَبَرَكاتُهُ

الإهداء

إلى أنصار دين الله وأحباءه

إلى عشاق الحسين الحقيقيين

إلى الذين صمدوا حتى آخر قطرةِ دمٍ ورمق حياة

إلى الذين حُزّت رقابهم وأُبرد برؤوسهم الى الفجرة

إلى الذين لم يَحْوِ أجسادهم لحدٌ معروف ولا قبرٌ يزار

إلى الذين قالوا للباطل لا ولم تخدعهم حيل المتفلسفين

إليكم يا صفوة البشر

المقدمة

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

إن ثورة عاشوراء تحمل دروساً وعبراً كثيرة، حيث علّمت الأجيال تلو الأجيال معاني إنسانية سامية؛ معنى النصر ومعنى الشهادة؛ معنى الحرية ومعنى العدل؛ معنى التضحية ومعنى الوفاء...

إن خلاصة ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي أنه مرّ يوم على الإمام عليه السلام كانت الدنيا فيه تحت سيطرة الظلم والجور ولم يجرؤ أحد على بيان الحقائق، فوقف عليه السلام وحيداً وفي تلك الظروف لمواجهة الأعداء وظلمهم وجورهم. وقد تحمل عليه السلام من أجل هذا الهدف المقدّس أشقّ أشكال الجهاد والصراع من أعداء الله.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «**كلّما أمعنا النظر في قضية عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام سنجد أن تلك الثورة تتسع للتفكير والبيان أكثر فأكثر، وكلما ازددنا تفكيراً في هذه النهضة الكبرى، ستظهر أمامنا حقائق جديدة لم نكن نعرفها من قبل.**

فعلى العلماء والخطباء أن يقوموا بواجبهم الشرعي تجاه هذه القضية المهمة، لأن ذكرى عاشوراء ليست مجرد ذكر لبعض الخواطر والذكريات والأحداث فقط، وإنما هي تبيان لحادثة في غاية الأهميّة، ولها أبعاد وجوانب تركت أعمق الآثار في حياة الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ. فالتذكير بهذه الفاجعة هو موضوع يمكن أن يتبلور عن كثير من الخيرات والبركات لأبناء هذه الأمة».

وإننا اليوم وبصفتنا ورثة وأمناء هذه الحقيقة التاريخية، علينا أن نبث روح النهضة الحسينية ـ المشبعة بمسؤولية التصدي وعزم التوكل على الله، وبيقين أن ما عند الله خير وأبقى ـ بكل تجلياتها في روع أبنائنا، ليكونوا حقاً من شيعة الإمام الحسين عليه السلام وحماة قيم الرسالة.

بَركة مراسم العزاء[1]



الحمد للّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين..

يعتبر هذا اللقاء المعتاد قبل شهر محرم من كل عام ـ في الحقيقة ـ شروعاً للأمّة الإسلامية للدخول في وادي عاشوراء المليء بالبركة وبالأحداث، وللاستفادة من بركات شهر محرم.

رغم كثرة الكلام حول الفوائد القيّمة لشهر محرم ويوم عاشوراء وآثار هذه الظاهرة العظيمة، لكن كلّما مرّ زمان عليها كلّما تجلّت الصورة الخالدة لهذه الشمس النّيرة أكثر ـ والتي يمكن أن نُطلق عليها شمس الشهادة، شمس مظلومية وغربة الجهاد والتي توقّدت بواسطة الحسين بن علي (عليه السلام) وأصحابه ـ، وعُرفت بركات عاشوراء أكثر. فقد ظهرت الآثار العميقة والأساسية لهذه الحادثة تدريجياً منذ اليوم الأوّل لوقوعها، فعرف البعض بوظائفه منذ تلكَ الأيّام، فقامت حركة التوّابين، ووقعت حوادث الجهاد الطويل لبني هاشم وبني الحسن (عليه السلام)، حتى أنّ ثورة العباسيين ـ الذين ثاروا ضد بني أميّة في أواسط القرن الثاني للهجرة، وأرسلوا الدعاة إلى أطراف العالم

---

(١) في ١٤١٥/١٢/٢٤هـ بحضور جمع من العلماء والمبلغين (طهران).

الإسلامي آنذاك خصوصاً إلى المناطق الشرقية من إيران كخراسان والتي نجحت في القضاء على الحكومة الأموية الظالمة والمستكبرة والعنصرية ـ قد بدأت باسم الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾. فلو طالعتم التأريخ للاحظتم أنّ دعاة بني العباس عندما كانوا ينتشرون في أطراف العالم الإسلامي، كانوا يتّخذون من دم الحسين بن علي ﴿عليه السلام﴾ واستشهاده ومن الإنتقام لدم ابن الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وبضعة الزهراء ﴿عليها السلام﴾ وسيلة لتنظيم حملاتهم الإعلامية، حتى أنّ السواد الذي أصبح شعاراً ولباساً رسمياً لبني العباس طوال خمسمائة عامٍ من حكمهم، قد انتخب كلباس حداد على الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، حيث كانوا يقولون: هذا حداد آل محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾. هكذا بدأ العباسيّون ثورتهم وأوجدوا هذا التغيير، وإن كانوا قد انحرفوا وانتهجوا نفس سياسة بني أميّة بعد ذلك.

إذن هذه من تأثيرات عاشوراء، وهكذا كانت على طول الزمان. وما وقع في عصرنا ـ أي عصر سيطرة الظلم والكفر والإلحاد على العالم أجمع، عصر أصبحت العدالة فيه مخالفة للقانون، والظلم قانوناً على الصعيد العالمي ـ كان أعظم من كل تلك الأحداث؛ فما ترونه من تجبّر القوى الكبرى ورغبتهم في إيجاد نظام عالمي جديد هي عين ذاك الظلم، وما يقع في العالم من الظلم وسحق الحقوق وازدواجية التعامل كلها نتيجة لهذه الأسماء القانونية كالدفاع عن حقوق الإنسان. وهذا أسوء أنواع طغيان الظلم، أي سيطرة الظلم على

العالم بإسم العدالة والحق. ففي مثل هذا العصر خُرِقت حُجب الظلام وتجلّت شمس الحقيقة ووصل الحق إلى الحكم، وأعلن الإسلام الحقيقي والأصيل تواجده وأجبر العالم على قبول تواجده في شكل نظام إسلامي بعد أن كانت الأيادي كلّها تسعى لإبعاده عن الساحة. كل هذا كان من بركات عاشوراء مثلما أنّ الثورة قد بدأت ببركة عاشوراء. لقد صادف خرداد هذا العام شهر محرم مرة أخرى وذلك بعد مضي اثنين وثلاثين عاماً على حادثة ١٥ خرداد. ففي ١٥ خرداد ١٣٤٢هـش والذي صادف ١٢ محرم ١٣٨٣هـق من العام القمري، استطاع إمامنا العظيم قدس سره ـ وبالإستعانة بشهر محرم وحادثة عاشوراء ـ أن يوصل نداء الحق النابع من قلبه إلى أسماع الناس ويغيّرهم. وشهداؤنا ـ تلك الأيام ـ في طهران وورامين وبعض المدن الأخرى كانوا من معزّي الحسين عليه السلام، فأوائل الشهداء في حادثة ١٥ خرداد كانوا من الذين تعرّضوا لهجوم أعداء عاشوراء، وقد شاهدتم في عام ١٣٥٧ هـ ش (١٩٧٨م) كيف استفاد إمامنا العظيم واستخلص الدروس من محرم، وطرح قضية انتصار الدم على السيف، وحقّق ما أراده، أي تلقّى الشعب الإيراني باتّباعه للحسين بن علي عليه السلام الدرس من عاشوراء فانتصر الدم على السيف.

وإنّنا اليوم ورثة وأمنة هذه الحقيقة التأريخية؛ أي أنّ الناس ترغب في سماع ذكريات حادثة عاشوراء وتتلقّى منها الدروس من على لسان العلماء والمعمّمين والمبلّغين والمبلّغات. فماذا يمكننا

فعله في هذا المجال؟ هنا تطرح قضية التبليغ، فالقضية مهمّة جداً. فإن تمكّن الطلبة الشباب والفضلاء في الحوزات العلمية والمبلّغين والخطباء والمدّاحين يوماً ما من الإستفادة من حادثة عاشوراء، كحربة لمواجهة الظلامات المتراكمة والمسيطرة على حياة البشر، وخرق حُجب الظلام بهذه الحربة الإلهية القاصمة، وإظهار شمس الحق في صورة حكومة إسلامية كما ظهرت هذه الحقيقة في عصرنا وشوهدت هذه المعجزة، فلماذا لا يتوقّع ويُنتظر أن يشهر علماء الدين والمبلّغون والخطباء ـ في كل عصر ـ سيف الحق وذو فقار علي بوجه كل باطل؟ ولماذا نستبعد هذا الأمر حتى لو كان إعلام العدو في تلك البرهة أقوى وأوسع والظلمات أشد تراكماً؟ صحيح أن الإعلام المعادي قد شغل اليوم أذهان جميع البشر، وصحيح أنّ الأموال الطائلة تصرف لتشويه صورة الإسلام وبالخصوص الشيعة، وصحيح أن كل من له مصالح غير مشروعة في حياة الشعوب والدول، قد وظّف نفسه للتحرك ضد الإسلام والحكومة الإسلامية، أي أنّ الكفر ـ رغم تفرّقه وتشتّته ـ قد اتّفق على محاربة الإسلام الأصيل؛ حتى أنّهم جعلوا الإسلام المحرّف في مواجهة الإسلام الأصيل، كل ذلك صحيح، لكن رغم كل هذا الإعلام المعادي الخبيث، ألا يمكن لجناح الحق وجبهة الإسلام الأصيل ـ وببركة روح ونداء وحقيقة عاشوراء ورسالة محرم ـ أن يكرّر تلك المعجزة مرة أخرى؟! نعم، إنّه عمل شاقّ، لكنّه ممكن وتلزمه الهمّة والتضحيات، وهذه وظيفتنا نحن.

إن العالم متعطّش للحقيقة اليوم. وليس هذا كلام عالم دين أو مسلم متعصّب، بل كلام أناس هم على ارتباط وعلاقة بالثقافة الغربية ممن أحسنوا الظن بتلك الثقافة ومنظريها يقولون: إن الشرائح الحسّاسة في العالم الغربي عطشى لحقيقة الإسلام، والمقصود من الشرائح الحسّاسة هم العلماء والمفكّرون وأصحاب الضمائر والمثقّفون والشباب. فهؤلاء هم الأجزاء الحسّاسة لهيكل المجتمعات الغربية ـ، إنهم عطشى لدرس في الحياة يخلّصهم من آلاف المشاكل الحقيقية والواقعية، فالكثير من مشاكل الحياة ليست مشاكل واقعية، إن المشكلة الواقعية هي الشعور بعدم الأمن الروحي، الشعور بالغربة، بالكآبة، بالتزلزل وعدم الإطمئنان والسكينة. هذه هي المشاكل الحقيقية للبشرية حيث يُجبر شخص ما على الإنتحار وهو في قمة الثراء والشهرة، فلماذا ينتحر ذلك الشاب الثري الذي يملك إمكانيات التنعّم والتمتع؟! وأي ألم أصعب من فقد المال وعدم توفّر إمكانيات المتعة الجسمية واللذة الجنسية؟!!

فعدم الإطمئنان وعدم السكينة، عدم وجود نقطة اتكاء روحي، عدم الأنس والتواصل بين الناس، الشعور بالغربة، والشعور بالإنكسار، كلها آلام ابتليت بها المجتمعات المادية والغربية في العالم اليوم، وتشعر بها الشرائح الحسّاسة أكثر من غيرها؛ لهذا فهم يترقّبون الخلاص من هذه الآلام. إنّ الأنظار قد توجهت إلى الإسلام أينما توفّر فيه الوعي؛ رغم وجود بعض من غير الواعين الذين لا يعرفون

الإسلام، لكن الأرضية مهيّأة لاعتناق الإسلام، فالذين عرفوا الإسلام سوف يتكئون عليه فقط. فأحد المفكرين الإيرانيين الذي انتقل إلى رحمة الله أخيراً، قال في أواخر عمره: إن الغرب يبحث اليوم عن شخصيات أمثال الشيخ الأنصاري وملاّ صدرا، فحياتهم ومعنوياتهم وقيمهم قد جذبت الشخصيات والمفكرين الغربيين إليها.

إن النبع الزاخر لهذه القيم والمعارف الإسلامية كامنة هنا، وقمة هذه المعارف هي (عاشوراء)، فيجب معرفة قيمة هذه الأمور إذ أننا نرغب في تقديم هذه المعارف للعالم.

وهنا أشكر جميع الذين استجابوا لدعوتنا في العام الماضي وقاموا بتنزيه مراسم العزاء يوم عاشوراء من التحريف، وإنني أؤكد مرة أخرى على هذه المسألة، أيّها الأعزاء! أيها المؤمنون بالحسين بن علي عليه السلام! إن بإمكان الحسين بن علي عليه السلام أن ينقذ العالم اليوم بشرط أن لا نشوّه صورته بالتحريفات. لا تدعوا المفاهيم الخاطئة والتحريفات تصرف الأعين والقلوب عن وجه سيد الشهداء عليه السلام المبارك والمنوّر. يجب التصدي للتحريف. وسأختصر ما أقصده في كلمتين:

الأولى: متابعة قضية عاشوراء والحسين بن علي عليه السلام من على المنبر وخلال الرثاء، بالصورة التقليدية السابقة، ببيان وقائع ليلة ويوم العاشر، فعادة ما تندثر الحوادث حتى الكبيرة منها مع مرور الزمن، لكن حادثة عاشوراء باقية بكل جزئياتها وذلك ببركة هذه المجالس.

طبعاً يجب أن يكون بيان الوقائع بصورة متّقنة على ما ورد في كتابي اللهوف لابن طاووس والإرشاد للمفيد، لا الأمور المختلقة. إذن يجب نقل الأحداث و قراءة الرثاء والمديح واللطميات وبيان حادثة عاشوراء وهدف الإمام الحسين عليه السلام من خلالها، كتلك التي وردت في كلمات الإمام عليه السلام مثل: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي»[١] أو «أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعلٍ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[٢] أو قوله: «فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»[٣]. فالكلام هنا عن لقاء الله، والهدف من خلق البشر، و﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٤]. كل هذه المساعي والمشاق لأجل هذا الأمر (فملاقيه)، فمن كان موطّناً على لقاء الله فليرحل مع الحسين، ولا يجوز له المكوث في البيت والتعلّق بالدنيا ومتاعها والغفلة عن طريق الحسين عليه السلام.

فيجب أن نتحرّك، وهذا يبدأ بتهذيب النفس ثم التحرك إلى المجتمع والعالم. فهذه أهداف وخلاصة ثورة الحسين.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٤.
(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٧.
(٤) سورة الإنشقاق، الآية: ٦.

إنّ خلاصة ثورة الحسين عليه السلام هي أن مرّ يوم على الإمام عليه السلام كانت الدنيا فيه تحت سيطرة الظلم والجور، ولم يجرأ أحد على بيان الحقائق، كان الجو والأرض والزمان مظلماً وأسوداً؛ حتى أنّ ابن عباس وعبد الله بن جعفر لم يرحلا مع الإمام عليه السلام، فما معنى ذلك؟ ألا يدل على وضع الدنيا حينها؟ فالإمام الحسين عليه السلام قد وقف وحيداً في مثل تلك الظروف ـ طبعاً مع نفر قليل، وحتى وإن لم يبقى النفر القليل ـ بوجه الظلم. افترضوا أنّه عندما قال الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء لأصحابه: ليس عليكم منّي زمام، فذهب الجميع وذهب أبو الفضل العباس وعلي الأكبر وبقي الإمام وحيداً، فماذا كان يحدث يوم عاشوراء؟ هل يتراجع الإمام عليه السلام؟ أم أنّه يقف ويقاتل؟ ولقد ظهر في عصرنا رجل قال: لو أبقى وحيداً وتقف الدنيا كلّها بوجهي، فلن أتراجع عن طريقي، وكان ذلك هو إمامنا، وقد فعل وصدق فيما قاله ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[1]، رأيتم ماذا فعل رجل ترعرع في مدرسة الحسين وعاشوراء. فلو كنا جميعاً من مدرسة عاشوراء، لسارت الدنيا نحو الصلاح بشكل سريع جداً، ولمُهّدت الأرض لظهور ولي الحق المطلق.

إذن يجب بيان هذه المفاهيم للناس من خلال الوعظ والرثاء والمديح، يجب على المبلّغين بيان هدف الإمام الحسين عليه السلام للناس في القرى والمدن، في البلاد وفي أرجاء الدنيا، من على المنابر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

وتأسيس منابر الإلقاء وبالصور المختلفة، ليذكر المبلّغ حديثاً أخلاقياً أو يشرح سياسة البلاد والسياسة العالمية، فلا بأس في ذلك، لكن يجب أن يكون خطابه بشكل بحيث يتم فيه بيان حادثة عاشوراء تصريحاً أو تلميحاً، منفصلاً أو ضمنياً، كي لا تبقى خافية ومكتومة.

الثانية: الإستفادة من هذه الفرصة للقيام بما قام به الإمام الحسين عليه السلام، أي إحياء الإسلام ببركة جهاده فقد جدّد الإسلام حياته ونال حريّته بفضل ثورة ودم الحسين بن علي عليه السلام.

واليوم عليكم أنتم ـ وبالإستفادة من ذكر واسم ومنبر الإمام الحسين عليه السلام ـ بيان حقائق الإسلام والتعريف بالقرآن والحديث وقراءة نهج البلاغة للناس، فمن الحقائق الإسلامية هي هذه الحقيقة المباركة التي تجسّدت اليوم في إيران الإسلامية، أي نظام الجمهورية الإسلامية، النظام النبوي والعلوي والولائي، فإنّ حكومة الحق من أسمى المعارف الإسلامية، فلا يتصوّر أحد أنّه يمكن تبيين حقائق الإسلام، مع بقاء حاكمية الإسلام التي تجسّدت اليوم في هذا البلد مغفول عنها.

هذه وصيتي لكم أيّها السادة الأعزاء والمحترمون والأعاظم، وبالخصوص الطلبة الشباب والثوريون والمؤمنون والأفاضل، فإن جميع البركات ـ ولله الحمد ـ موجودة في وجود هؤلاء الأعزة، هؤلاء الشباب الأفاضل المؤمنون حسنو الروحية والمتديّنون والواعون، حيث أنّ هذه الشريحة هي التي وسّعت رقعة الثورة في

الأيام الأولى لبدئها، وكانوا ـ كما ورد في الحديث الشريف حيث شبّه الأئمة (عليهم السلام) أصحابهم ـ كالنحل يقومون بامتصاص الحقائق، وإعطاء العسل الخالص الذي فيه شفاء للناس إلى عطاشى الحقيقة ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾[1].

واليوم أيضاً، على الطلبة والفضلاء والمبلّغين الشباب ـ وبالإستفادة من تجارب الأساتذة وكبار أهل هذه الفنون وبالإعتماد على الله ـ أن يشدّوا أمتعتهم وينطلقوا لبيان هذه الحقائق بأسلوب مناسب في جميع أنحاء البلاد وأرجاء العالم قربة إلى الله.

نأمل من الله أن تشملكم الألطاف والأدعية الزاكية لبقية الله الأعظم (أرواحنا فداه)، وتتمكّنون في شهر محرم ـ والذي يصادف ذكرى الرحيل والعروج الملكوتي لإمامنا العظيم ـ من أن تستفيدوا أقصى استفادة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٩.

عاشوراء العاطفة والعقل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين..

من حسن الحظ أنّ هذا اللقاء السنوي ـ الذي كان يعقد على أعتاب حلول شهر محرم الحرام ـ مع العلماء والخطباء قد عُقد هذا العام في هذه المدينة وفي هذه المحافظة. واستغلالاً لهذه الفرصة أودّ أن أطرح على الأخوة العلماء جملةً من الأمور المهمة التي ترتبط بشهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء الخالدة.

ولكن قبل الدخول في هذا الموضوع أرى من اللازم تقديم خالص شكري وتقديري للسادة العلماء، ولا سيّما العلماء والفضلاء البارزين في هذه المحافظة الذين يتحمّلون ـ بحمد الله ـ المسؤولية الجسيمة للتدريس، والتحقيق، والتفسير، ونشر العلم، وتبيان المفاهيم الإسلامية، وإقامة صلاة الجمعة والجماعة وغيرها من الأمور المهمة.

وعلى الرغم من امتلاك أبناء الشعب ـ في جميع أنحاء البلاد ـ للروح المعنوية والدينية العالية إلاّ أنّ هذه المحافظة تعتبر من

---

(١) في ١٤١٤/١٢/٢٩هـ بحضور علماء وطلبة محافظة كهكيلويه وبوير أحمد.

المحافظات المتميزة من الناحية الدينية والإيمانية. فهي تعتبر من المناطق التي برهن أبناؤها على إيمانهم وإخلاصهم وحبّهم للإسلام وتمتّعهم بطيب النفس وصفائها.

وأيّ مكان يمتلك أبناؤه هذه السجايا الحميدة، سيجد العلماء فيه الأرضية المناسبة لأداء المسؤولية الإسلامية الملقاة على عاتقهم.

إنّني ـ وضمن تقديري للجهود الكبيرة التي يبذلها السادة العلماء، ولاسيما بعض كبار العلماء الذين يقومون بإنجاز خدمات عظيمة ـ أرجو منكم مضاعفة جهودكم من أجل القضاء التام على التخلّف الثقافي الذي تعيشه محافظة كهكيلويه وبوير أحمد.

أمّا ما يخصّ شهر محرّم الحرام، فهناك نوعان من البحث في المسائل التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا الشهر الكريم.

أحدهما الكلام حول النهضة الحسينية المباركة.

فالبرغم من كثرة وأهمية ما قيل وما كُتب من قبل العلماء والمفكّرين البارزين حول أسباب وأهداف ثورة الإمام الحسين، إلاّ أنّ المؤكّد أنّه يمكن الخوض لسنوات طويلة في موضوع هذه الثورة المباركة وأسبابها وأهدافها ونتائجها..

فكلّما أمعنّا النظر أكثر في قضية عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام، سنجد أنّ تلك الثورة تتّسع للتفكير والبيان أكثر فأكثر. وكلّما ازددنا تفكيراً في هذه النهضة الكبرى، ستظهر أمامنا حقائق جديدة لم نكن نعرفها من قبل.

هذا هو الموضوع الأوّل الذي يمكن الكلام فيه حول الثورة الحسينية.

وهذا الموضوع يجري البحث فيه ـ عادة ـ على طول أيام السنة من خلال المجالس التي تعقد في المناسبات المختلفة، ولكن لابدّ من التعرّض له والخوض فيه بشكل أكبر وأدقّ وأعمق خلال أيام شهر محرّم الحرام كما فعل وسيفعل خطباؤنا الأعزّاء إن شاء الله .

أمّا الموضوع الآخر الذي يمكن الخوض فيه بمناسبة حلول شهر محرّم الحرام والذي قليلاً ما يتمّ التعرّض له والخوض فيه فهو موضوع مراسم عزاء الحسين بن علي عليه السلام الذي سأتكلّم عنه بشيء من التفصيل هذه الليلة.

فمن المؤكّد أنّ من أهمّ ميزات المجتمع الشيعي دون غيره من الأخوة المسلمين هو امتلاكه لذكرى عاشوراء وفاجعة كربلاء الأليمة.

ومنذ اليوم الذي أقيمت فيه مجالس العزاء التي تُذكر فيها المصائب التي جرت على أبي عبدالله عليه السلام وأهل بيته الأطهار، تدفّق نبع من المعنوية والمعارف الإسلامية في أذهان وقلوب محبّي أهل البيت عليهم السلام، ومازال ذلك النبع متدفّقاً إلى اليوم وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله . والمنشأ لكلّ هذا الخير والبركة هو التذكير المتواصل بيوم عاشوراء لكي تبقى ذكرى فاجعة كربلاء حيّة في ضمير أبناء الأمة.

فذكرى عاشوراء ليست مجرّد ذكر لبعض الخواطر والذكريات والأحداث فقط. وإنّما هي تبيان لحادثة في غاية الأهمّية ولها عدد

غير محدود من الأبعاد والجوانب التي تركت أعمق الآثار في حياة الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ.

إذن، فالتذكير بهذه الفاجعة هو موضوع يمكن أن يتبلور عن كثير من الخيرات والبركات لأبناء هذه الأمة. لذا تلاحظون أنّ قضية البكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام كانت تحتلّ مكانة متميزة في زمن الأئمة عليهم السلام.

فلا يتصوّر أحد أنّه مع وجود المنطق والإستدلال، فما هي الحاجة للبكاء وما هي الحاجة للبحث في قضايا قديمة من هذا القبيل؟

إنّ هذا النوع من التفكير بيّن البطلان، لأنّ لكلٍّ من هذه الأمور دور في بناء شخصية الإنسان وتكامله. فالعواطف لها دورها والمنطق والبرهان لهما دورهما المهم أيضاً. فالعاطفة لها دور في حلّ كثير من المشاكل والمعضلات التي يعجز المنطق والإستدلال عن حلّها.

ولذلك حينما نراجع تاريخ الأنبياء نرى أنّه في أوائل بعثتهم كان يلتفّ حولهم أناس لم يكن المنطق والبرهان هما الدافع الأساسي لإيمانهم ولالتفافهم حول أولئك الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

فلا تجدون في تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو تاريخ مدوَّن وواضح ـ بأنّ الرسول اجتمع في أوّل البعثة مع مجموعة من الكفّار وبرهن لهم بالأدلّة العقلية على وجود الله ووحدانيته أو بطلان عبادة الأصنام ـ مثلاً ـ. فالإستدلالات العقلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءت بعد أن تقدّمت

الدعوة وانتشر أمرها. أمّا في المرحلة الأولى فقد كان عمل الدعوة يقوم على أساس كسب المشاعر والعواطف الصادقة لدى الناس.

ففي هذه المرحلة كان النبي ﷺ يقول للكفار: إنّ هذه الأصنام التي تعبدونها ما هي إلاّ أحجار لا تضرّ ولا تنفع. من دون الحاجة إلى ذكر الدليل العقلي والمنطقي على بطلان عبادتهم لتلك الأصنام.

ولم يكن يستدلّ للناس بالأدلّة العقلية والفلسفية على وجود الله ووحدانيته، بل كان يكتفي بالقول: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا»، فلم يبرهن للناس عقلياً أو فلسفياً بأنّ الإعتقاد بـ (لا إله إلاّ الله) يؤدّي إلى فلاح الإنسان وسعادته، بل إنّ هذه العبادة تخاطب مشاعر الإنسان وأحاسيسه الصادقة.

طبعاً إنّ كلّ مشاعر وأحاسيس صادقة وسليمة تنطوي على برهان فلسفي واستدلال عقلي. لكن المسألة هي أنّ كلّ نبي عندما كان يريد البدء بالدعوة لم يكن يطرح الدليل العقلي والفلسفي من أجل هداية الناس، بل إنّه كان يبدأ بتحريك العواطف والأحاسيس الصادقة والسليمة التي تحمل المنطق والإستدلال في ذاتها. وهذه الأحاسيس والعواطف توجّه أنظار الإنسان إلى ما يعيشه المجتمع من ظلم واضطهاد وتمايز طبقي، وما يمارسه أنداد الله من البشر (شياطين الإنس) من ضغط وإرهاب ضدّ أبناء ذلك المجتمع. أمّا طرح البراهين العقلية والمنطقية فكان يبدأ حينما تستقر الدعوة وتأخذ مجراها الطبيعي.

فمن كانت له القابلية العقلية والفكرية ـ في هذه المرحلة ـ، فسوف يستوعب بعض الإستدلالات العقلية والفلسفية الميسّرة التي كان يطرحها النبي ﷺ. أمّا الذي لم يكن يمتلك تلك القابلية، فيبقى في المرحلة العقلية الابتدائية التي يعيشها.

طبعاً ليس شرطاً أن يكون الإنسان الذي يمتلك قوة استدلال أكبر أعلى شأنا من غيره من الناحية المعنوية. فقد تكون عواطف بعض أصحاب المستوى الفكري المتواضع أصدق وأسلم، وارتباطهم وتعلّقهم بالنبي وبمبدأ الغيب أقوى وحبّهم أصدق وأعمق. وهذا من شأنه أن يكسبهم مكانة معنوية أعلى ومرتبة أسمى عند الله سبحانه وتعالي. فلكلٍ من العاطفة والإستدلال دوره ومكانته، فلا العاطفة تستطيع أن تحتل مكان الإستدلال العقلي، ولا الإستدلال بإمكانه احتلال مكان العاطفة.

وحادثة عاشوراء تنطوي في طبيعتها وذاتها على بحر زاخر من العواطف الصادقة. فهذه الفاجعة جاءت نتيجة لثورة إنسان عظيم ومعصوم، إنسان لا يمكن التشكيك بمقدار ذرّة في شخصيّته المتسامية، ويقرّ جميع المنصفين في العالم بتعالي هدفه وهو (إنقاذ المجتمع من براثن الظلم والإستعباد). وقد أعلن عن هذا الهدف بوضوح عندما قال:

«أيّها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ولم

يغيّر عليه بقول ولا بفعل كان حقّاً على الله أن يُدخله مَدخله»[1].

إذن فالهدف من الثورة هو الوقوف بوجه الظلم والطغيان.

وقد تحمّل الحسين عليه السلام من أجل هذا الهدف المقدّس أشقّ أشكال الجهاد والصراع من أعداء الله؛ لأنّ أشقّ أشكال الكفاح هو الكفاح في الغربة. فالإستشهاد والقتل بين الأهل والأحبّة ووسط تشجيع عامة الناس ليس بالأمر المستصعب جداً.

ففي صدر الإسلام حينما كانت تحدث مواجهة بين الحقّ والباطل وكان على رأس الجيش الإسلامي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو أميرالمؤمنين عليه السلام كان الجميع ينتظر للذهاب إلى ساحة الحرب إستجابةً لأمر النبي صلى الله عليه وآله، وكان النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون يودعونهم ويدعون لهم، فكانوا يقاتلون العدو ويُقتلون وهم بين أهلهم وأحبّتهم. فليس من الصعب جداً أن يقوم الإنسان بمثل هذا العمل. ولكن الصعب هو القسم الآخر من أشكال الكفاح وهو الكفاح الشاق والمليء بالمتاعب والعقبات، حيث ينزل الإنسان إلى ساحة الحرب وهو يرى أنّ جميع أفراد المجتمع يقفون ضدّه، أو يتغافلون عن نصرته، أو يحاولون الإبتعاد عنه، وحتّى الذين يؤيّدونه في قرارة أنفسهم لا يجرأون على إعلان هذا التأييد بألسنتهم.

ففي فاجعة كربلاء لم يجرؤ حتى أمثال عبد الله بن عباس أو عبد الله بن جعفر ـ الذين كانا من بني هاشم ومن تلك الشجرة

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

الطيبة ـ على إبراز تأييدهما للإمام الحسين (عليه السلام) في مكة أو المدينة.

إذن فجهاد الغرباء من أشقّ وأصعب أشكال الجهاد في سبيل الله. فالجميع يقف بوجه ذلك الإنسان المجاهد ويعرض عنه حتى الأصدقاء.

حتى إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) حينما دعا أحدهم إلى نصرته رفض نصرة ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعرض فرسه على الحسين (عليه السلام) بدلاً من ذلك. فهل توجد غربةً أعظم من هذه الغربة؟ وهل يوجد كفاح في الغربة أشقّ من هذا الكفاح؟

وفي خوضه لهذا الصراع رأى الإمام الحسين (عليه السلام) بأمّ عينيه مقتل أولاده وإخوانه، وأبناء إخوته، وأبناء عمومته، وجميع بني هاشم، حتى انّه شاهد مقتل ولده الرضيع الذي كان له من العمر ستة أشهر فقط.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يعلم (عليه السلام) إنّه بعد استشهاده سوف تقوم تلك الذئاب الكاسرة بالهجوم على عياله وأطفاله لإخافتهم وإرعابهم ونهب أموالهم وبالتالي أسرهم وتوجيه الإهانة لهم والإعتداء على بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) زينب الكبرى (عليها السلام) التي كانت من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي.

وقد واصل أبو عبدالله كفاحه المرير على الرغم من علمه بجميع تلك الأمور تفصيلاً. فلاحظوا كم كان ذلك الجهاد الذي خاضه أبو عبدالله شاقّاً ومريراً. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يعاني هو وأهل بيته

وأصحابه من شدّة العطش نتيجة لمنعهم من الوصول إلى ماء الفرات. فقد كان الأطفال والصبيان والشيوخ وحتى الأطفال الرضع يتلظون من شدّة العطش! حيث لم يكونوا قد ذاقوا قطرة من الماء منذ مدة طويلة.

فلكم أن تتخيّلوا الآن كم كان شاقّاً وعظيماً ذلك الجهاد الذي خاضه إمامنا الحسين عليه السلام.

فأيّ إنسان لا تهتزّ عواطفه من فاجعة استشهاد مثل هذا الإنسان العظيم الطاهر المعصوم الذي كانت الملائكة تتسابق لرؤية وجهه المنير والذي كان يتمنّى الأنبياء والأولياء أن يكونوا في منزلته؟

وأيُّ إنسان حرٍّ يعرف مغزى تلك الفاجعة ويفهم أهدافها ثمّ لا يشعر بالإرتباط القلبي والعاطفي معها؟

فهذا النبع المعنوي والعاطفي بدأ بالتدفّق ومازال. عصر يوم عاشوراء حينما وقفت زينب ـ على ما ورد في النقل ـ على التل الزينبي وخاطبت جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلة:

«يا رسول الله صلّى عليك مليك السماء هذا حسينك مرمَّل بالدماء مقطَّع الأعضاء مسلوب العمامة والرداء» وبدأت بقراءة عزاء الإمام الحسين بصوت عال. وبعد ذلك قامت بإفشاء ما أرادوا كتمانه من خلال خطبها وكلماتها الرنّانة في كربلاء والكوفة والشام والمدينة المنوَّرة. هذه هي فاجعة عاشوراء وهذه هي أبعادها وأهدافها.

والحقيقة التي لا ريب فيها هي أنّ الله سبحانه وتعالى سوف يسأل

الإنسان يوم القيامة عن جميع النعم التي منَّ بها عليه. وإنّ من أعظم النعم الإلهية علينا هي مجالس العزاء التي تُقام إحياءاً لذكرى فاجعة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام.

وللأسف فإنّ إخواننا من المسلمين غير الشيعة قد حرموا أنفسهم من هذه النعمة العظيمة التي بإمكانهم استثمارها إذا أرادوا. طبعاً هناك القليل منهم من يقيم مراسم العزاء لأبي عبد الله عليه السلام لكنّه ليس رائجاً عندهم كما هو رائج عند الشيعة بهذا الشكل الواسع الذي يعرفه الجميع.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي الفائدة التي يجب أن تجنى من هذه الذكرى ومن هذه المجالس؟ وما هو الطريق لشكر هذه النعمة؟

أما الجواب على هذه الأسئلة وأمثالها فهو ملقى على عاتقكم أنتم.

فهذه النعمة الكبيرة هي التي تربط القلوب بمنابع الإيمان بالله وبالغيب مباشرةً، وهي التي جعلت الحكّام الطواغيت على طول التاريخ يرتجفون خوفاً وفزعاً من عاشوراء ومن قبر الإمام الحسين عليه السلام. فقد بدأ هذا الخوف منذ زمن بني أمية وتواصل إلى يومنا هذا.

وقد شاهدتم نموذجاً لهذا الخوف والفزع في أثناء أحداث الثورة الإسلامية المباركة. فحينما حلّ شهر محرّم ـ في أيام الثورة

الإسلامية ـ لم يتمكن النظام الشاهنشاهي الرجعي الكافر والفاسد من القيام بأيّ عمل وشُلّ عن الحركة تماماً.

وتشير التقارير المتبقية من زمن ذلك النظام المنحط بصراحة إلى أنّ النظام البهلوي ومع حلول شهر محرّم الحرام قد فقد السيطرة على كلّ شيء وفلت زمام المبادرة من يده في جميع أرجاء البلاد.

وقد عرف إمامنا الراحل رضوان الله عليه ـ ذلك الرجل الحكيم وصاحب النظرة الثاقبة ـ كيف يستغل أيام عاشوراء من أجل السعي إلى تحقيق أهداف الإمام الحسين العظيمة. فقد أعلن رضوان الله عليه بأنّ محرّم هو شهر انتصار الدم على السيف. وبهذا المنطق ـ وببركة شهر محرّم ـ انتصر الدم على السيف في إيران الإسلامية وكما خطّط له الإمام الراحل رضوان الله عليه.

هذه إحدى النماذج التي شاهدتموها ولمستموها في أثناء أحداث ثورتنا الإسلامية المباركة.

إذن لابدّ من استثمار هذه النعمة الإلهية بشكل كامل وبنّاء من قبل العلماء وأبناء الشعب معاً. أمّا استثمار أبناء الشعب لهذه النعمة فيتمثّل في إقامة مجالس العزاء وتوسيعها على أكبر نطاق ممكن والمشاركة الفعّالة والجادّة فيها.

ويجب أن تكون تلك المشاركة بقصد الإستفادة الحقيقية وليس مجرّد إتلاف للوقت أو محاولة الحصول على الثواب الأخروي ـ بالشكل الذي يتصورّه بعض السذّج من الناس ـ. فمن المؤكّد أنّ

المشاركة والحضور في هذه المجالس يستتبعه الثواب الأخروي. ولكن السؤال: ما هو السبب في الحصول على الثواب من خلال المشاركة في مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام؟

فمن المسلم أنّ هذا الثواب يتحصل نتيجة لسبب من الأسباب ومالم يتحقق ذلك السبب فإنّ الثواب سوف لا يحصل قطعاً. ولكن البعض يغفل ـ وللأسف ـ عن هذه النقطة ويعتبر أنّ مجرّد الجلوس في المجالس الحسينية كاف في الحصول على الثواب الأخروي.

إذن يجب على أبناء الأمّة معرفة القيمة الحقيقية والأهمّية البالغة لتلك المجالس والمشاركة الجادّة فيها وجعلها وسيلة لتعميق الإرتباط القلبي والنفسي بينهم وبين الحسين عليه السلام وآل النبي عليهم السلام واتّخاذها ـ تلك المجالس ـ للوصل بينهم وبين روح الإسلام والقرآن.

هذا ما يتعلّق بالناس حول الإستفادة من هذه المجالس. وأمّا ما يرتبط بعلماء الدين، فإن القضية أكثر تعقيداً، لأن مجالس العزاء تقوم على أساس اجتماع عدد من الناس ومشاركة أحد الخطباء الذي يتولّى إقامة العزاء حتى يستفيد الآخرون. ولكن كيف يجب أن تقام مراسم العزاء؟ إنه سؤال موجّه إلى جميع من يشعر بالمسؤولية في هذه القضية، وباعتقادي، إن هذه المجالس يجب أن تتميّز بثلاثة أمور:

الأول: هو تكريس محبة أهل البيت ومودّتهم في القلوب؛ لأن الإرتباط العاطفي ارتباط قيّم ووثيق، وعليكم أن تعملوا في هذه

المجالس على تكريس مودة الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيت النبّوة في قلوب المشاركين وتوثيق ارتباطهم بمصادر المعرفة الإلهية أكثر فأكثر. وأمّا إذا وجدتم وضعاً في هذه المجالس لم يؤدّ ـ لا سمح الله ـ إلى تكريس مودة أهل البيت في قلوب المستمعين أو من هم خارج المجلس وإنما يؤدّي ـ لا سمح الله ـ إلى ابتعادهم واشمئزازهم من مجالس العزاء، فإن هذه المجالس تفقد عندئذٍ واحدة من أهم فوائدها وأهدافها، بل تصبح مضّرة في بعض الأحيان. فانظروا ماذا ستفعلون أنتم الذين تؤسّسون هذه المجالس وأنتم الذين تخطبون فيها حتى تتعزّز العلاقة العاطفية للناس بالحسين بن علي عليه السلام وأهل بيت النبوة يوماً بعد يوم نتيجة المشاركة في هذه المجالس.

الأمر الثاني: الذي يجب أن تتميّز به المجالس الحسينية هو إعطاء صورة واضحة عن أصل قضية عاشوراء للناس وتبيانها لهم، وان مجالس العزاء على الحسين بن علي عليه السلام يجب أن لا تكون مجرد منبر لخطابات غير هادفة، لأن هناك في هذه المجالس أناساً يتميّزون بالتفكّر والتعقّل والتأمّل في الأمور وما أكثرهم في مجتمعنا ببركة الثورة الإسلامية سواءاً من الشباب والشيوخ والنساء والرجال الذين يتساءلون مع أنفسهم لماذا جئنا إلى هذا المجلس وبكينا على الحسين عليه السلام؟ ما هي أصل القضية؟ لماذا يجب البكاء على الإمام الحسين؟ لماذا جاء الإمام الحسين إلى كربلاء وأوجد قضية عاشوراء؟

هذه الأسئلة يجب أن يجاب عنها في المجالس الحسينية حتى تتعزّز معرفة المستمع بأصل قضية عاشوراء، وإذا لم تتطرّقوا في منابركم وخطبكم ونعيكم إلى هذا المعنى ولو بالتنويه والإشارة، فإن هذه المجالس ستفقد ركناً من الأركان الثلاثة التي أشرت إليها، ومن الممكن أن لا تستحصل الفائدة المتوخاة من المجلس أو قد تؤدي ـ فرضاً ـ إلى الضرر لا سمح الله ـ هذا الأمر الثاني.

أمّا الأمر الثالث: الذي يجب أن يؤخذ بنظر الإعتبار في مجالس العزاء، فهو تكريس المعرفة الدينية والإيمان الديني. إذ أنه لابدّ من التحدّث عن تعاليم الدين في هذه المجالس بشكل يعزز إيمان المستمع ومعرفته بالله سبحانه، ولابّد من الموعظة والتطرّق إلى حديث شريف صحيح السند أو رواية تاريخية لاستخلاص العبر منها، أو تفسير آية شريفة من القرآن الكريم أو نقل موضوع مما تطرق له كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين، يجب أن لا يكون الأمر بأن يرتقي خطيب على المنبر ويتحدث بدون رؤية وبكلام غير هادف، أو يتطرّق في النعي إلى مواضيع هشّة من حيث الفحوى، ليس فقط لا تؤدي إلى تعزيز الإيمان وتقويته، وإنما تؤدي إلى إضعافه. وإذا حدث مثل هذا الأمر، فإننا سوف لا نبلغ الفوائد والأهداف المتوخاة من هذه المجالس.

وأقول لكم أنه تشاهد ـ وللأسف ـ مثل هذه الأمور أحياناً حيث يتطرّق الخطيب أحياناً إلى أمور ضعيفة من حيث الإستدلال

والإسناد العقلي والنقلي، ويعتبر هدّاماً من حيث التأثير في ذهن المستمع الذي هو من أهل المنطق والإستدلال العقلي.

هناك بعض الأمور المدوّنة في كتاب ما وليس لدينا دليل على صحّة هذه الأمور أو سقمها، ولكن عندما تتطرّقون إليها من على المنبر، فإنها وبالرغم من عدم ثبوت صحتها إنما تثير أسئلة وإشكالات حول الدين لدى المستمع الذي قد يكون طالباً جامعياً أو تلميذاً أو شاباً أو مقاتلاً أو ثورياً ممن تفتّحت أذهانهم وأفكارهم ببركة الثورة الإسلامية، من الأفضل ألاّ تتطرقوا إلى هذه الأمور والمواضيع حتى لو كانت صحيحة السند، لأنها تؤدي إلى الضلال والإنحراف، دعْ عنك أنها تفتقد في معظمها إلى السند الصحيح الموثّق.

قد يكون هناك موضوع أو أمر سمعه شخص من شخص آخر بغض النظر عن صحة وسقم السند، أو استشفّه من قصيدة وبادر إلى نقل هذا الموضوع من كتاب وقع بأيدينا على سبيل الفرض، فنحن يجب أن لا نتطرّق إلى هذا الموضوع الذي لا يمكن تسويفه أو تبريره إلى المستمع، وخاصةً إذا كان ممن يتميّز بالوعي والذكاء والبحث في دقائق الأمور، لأنه ليس واجباً أن نقول كلّما نعلم أو ننقل ما دُوِّن في الكتب.

إن الجانب المهم من القضية الثقافية في مجتمعنا اليوم إنما ترتبط بالشباب، ولا أعني الطلبة الجامعيين وحدهم كما كان

مصطلحاً قبل الثورة الإسلامية، وإنما أعني جميع الشباب من الرجال والنساء والطلبة وغيرهم الذين تفتّحت أذهانهم إزاء مختلف القضايا، وأصبحوا ينظرون إليها بعين التبصّر والتحقيق، فإنّهم معرّضون للشبهات ويريدون أن يفهموا الأمور ببصيرة.

إن القضية الثقافية في عهدنا هي إلقاء الشبهات من جانب الأعداء، إنهم يلقون الشبهات ولا يمكن أن نفرض على من لا يؤيّدنا أو لا يقبل أفكارنا بأن يخرس ولا يتكلم. إنهم يفتعلون الشبهات ويروّجونها ويثيرون الشكوك في النفوس، أنتم تقولون بضرورة التصدي للشبهات وعدم إشاعتها في حين أن البعض يرتقي المنبر دون التوجّه إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ويتفوّه بكلام ليس فقط لا يحلّ أية مشكلة في ذهن المستمع، وإنما يزيد هذه المشاكل تعقيداً. فلو ارتقى أحدنا المنبر وتفوّه بكلام أثار شكوكاً حول الدين في أذهان عشرة أو خمسة أو حتى واحد من الشباب دون أن نعرفه، فكيف يمكن التعويض عن هذه الخسارة وإزالة الشكوك؟ وهل يمكن أساساً التعويض عن ذلك؟ وهل يغفر لنا الله ذلك؟.

هذه هي الأمور الثلاثة التي يجب أن تتميّز بها مجالس العزاء: تكريس المودة للحسين بن علي عليه السلام ولأهل بيت النبوة، وتعزيز العلاقة والإرتباط العاطفي بهم، وإعطاء المستمع صورة واضحة عن واقعة عاشوراء، وتكريس المعرفة الدينية ووشائج الإيمان بالله سبحانه وتعالى لدى المستمع. وإنه يكفي لو تحقق الحدّ الأدنى من ذلك.

فنحن لا نقول بأن جميع المنابر يجب أن تستوعب كل هذه الأمور، يكفي أن ينقل الخطيب حديثاً معتبر السند ويبادر إلى تفسيره ويبيّن معانيه للمستمع دون أية إضافات من التي لا داعي لها وتبعد المستمع عن المعنى الحقيقي للحديث، أو أن يبادر الخطيب إلى تفسير آية شريفة من المصادر المعتبرة بعد التدقيق والتأمّل فيها حتى يتحقق الهدف المنشود، ولذكر المصاب تكفي الإستفادة من كتاب (نفس المهموم) للمرحوم المحدّث القميّ، فإنه يُبكي المستمع ويثير تلك العواطف والمشاعر الجيّاشة التي تتوّخاها، ولا داعي للتعرّض إلى أمور تبعد المجالس الحسينية عن الفلسفة الحقيقية لإقامتها، وإنني أخشى من أن لا نتمكن من القيام بواجبنا ومسؤولياتنا ـ لا سمح الله ـ وخاصة في هذا العصر الذي هو عصر إحياء الإسلام وتجلّيه وتجلّي أفكار أهل بيت النبوة عليهم السلام.

هناك أمور تُقرّب الناس إلى الله وتعزّز تمسّكهم بتعاليم الدين، ومن هذه الأمور هي مراسم العزاء التقليدية، وأنّ ما أوصانا الإمام رضوان الله عليه بإقامة مراسم العزاء التقليدية هو المشاركة في المجالس الحسينية ونعي الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه واللطم على الصدور في مواكب العزاء، وهي من الأمور التي تعزّز المشاعر الجيّاشة إزاء أهل البيت عليهم السلام.

غير أن هناك أموراً خلاف ذلك وتبعد البعض عن الدين حيث شوهدت ـ وللأسف ـ خلال الأعوام الثلاثة أو الأربعة الماضية أعمال

تروّجها بعض الأيدي على ما يبدو، إنهم يروّجون في مجتمعنا بعض الأعمال التي تثير علامات استفهام في أذهان المشاهدين. لقد جرت العادة في قديم الأيام وبين عوام الناس أن يعلّقوا أقفالاً بأجسامهم في مراسم العزاء، فانبرى لها كبار العلماء واندثرت هذه العادة، غير أنها ظهرت مجدداً في الآونة الأخيرة، وسمعت أن البعض يعلّقون الأقفال بأجسامهم في مواكب العزاء، إنه عمل خاطئ يقوم به هذا البعض، وكذلك الأمر بالنسبة لشّج الرؤوس بالسيوف أي ما يصطلح عليه بـ (التطبير) الذي يعتبر عملاً مخالفاً هو الآخر.

أنا أعلم بأن البعض يقول بأن الحق كان مع الإمام الذي لم يتطرّق إلى موضوع شجّ الرؤوس وما الذي دعاك إلى هذا الموضوع، كلاّ، ليس الأمر بهذا الشكل، فلو كان الإمام رضوان الله عليه حيّاً لتصدّى لظاهرة شجّ الرؤوس بالسيوف على الصورة التي روّجت خلال السنوات الأربع أو الخمس بعد انتهاء الحرب، إنه عمل خاطئ أن يشجّ البعض رؤوسهم بالسيوف، وما هو الحاصل من إراقة دمائهم بهذه الصورة؟ وكيف يمكن اعتبار هذا العمل من مراسم العزاء؟ أجل من مراسم العزاء اللطم على الرؤوس والصدور، ولكن ليس من العزاء أن يشجّ الإنسان رأسه بالسيف ويريق دمه حتى لو كانت المصيبة قد حلّت بأعزّ أعزائه، إنها بدعة وليست من الدين، ولاشك في أن الله لا يرضى على ذلك.

إن علماء السلف الذين لم يتصدّوا لهذه القضية إنما كانت يدهم

مغلولة في هذا المجال، أمّا اليوم فإنه عصر الحكومة الإسلامية وعصر تجلّي الإسلام وينبغي أن لا نقوم بأعمال تشوّه سمعة المجتمع الإسلامي الذي يتميّز بمودّة أهل البيت عليهم السلام ويفخر بأنه يتبرك بالإسم القدسي لولي العصر أرواحنا فداه وباسم الإمام الحسين عليه السلام واسم أمير المؤمنين عليه السلام.

كيف ينبغي أن لا نقوم بأعمال تصوِّر أبناء هذا المجتمع بأنهم أناس خرافيون وغير منطقيين أمام المسلمين وغير المسلمين في العالم؟ في الحقيقة إنني كلّما وجدت بأنه لابّد أن أحذّر أبناء شعبنا العزيز من هذه الظاهرة التي هي في الواقع بدعة وخلاف لتعاليم الدين ليكُفّوا عن هذا العمل. فأنا لست راضياً عمن يتظاهرون بشجّ الرؤوس، وأعرب هنا أنه كان في زمن ما يجتمع عدد من الناس في مكان محدود وليس أمام الآخرين ويشجّون رؤوسهم دون أن يتظاهروا بهذا المعنى، ولا شأن لأحد بهم سواء صحّ هذا العمل أو لم يصحّ، فإنه كان محدوداً وليس تظاهراً أمام الآخرين، أمّا أن ينطلق عدة آلاف من الأشخاص فجأة في أحد شوارع مدينة قم أو طهران أو إحدى مدن خراسان وآذربيجان وهم يحملون السيوف ليشجّوا بها رؤوسهم، فإن هذا العمل يعتبر خلافاً بلاريب ولا يرضى عنه الإمام الحسين عليه السلام، ولا أدري من أين نشأت هذه الأعمال التي جاؤوا بها إلى مجتمعاتنا الإسلامية.

وهناك بدعة غريبة ابتدعوها مؤخراً في كيفية الزيارات.

أنتم تعلمون أن جميع أئمة الهدى (عليهم السلام) كانوا يزورون المرقد الطاهر للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والمراقد المطهرة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في المدينة المنورة والعراق وإيران، ولكن هل سمعتم أن أحداً من الأئمة أو من العلماء كان يزحف على صدره من باب الحرم إلى الضريح أثناء الزيارة، فلو كان هذا العمل مستحباً أو مستحسناً لقام به علماؤنا الكبار، إلاّ أنهم لم يقوموا بمثل هذه الأعمال، وحتى أنه نُقل بأن المرحوم آية الله العظمى البروجردي (رضوان الله عليه) ذلك العالم الورع والمجتهد البارز وذو الأفكار النيّرة منع حتى تقبيل العتبة لدى دخول الحرم المطهر لأي من الأئمة (عليهم السلام). ورغم أن هذا العمل قد يكون من المستحبات كما جاء في كتب الأدعية، وأتذكر أن هناك رواية باستحباب تقبيل العتبة، ولعل المرحوم البروجردي إنما منع ذلك حتى لا يُتصوّر أنه نوع من السجود يتبجّح به الأعداء لتوجيه الإتهامات إلى الشيعة.

ليس صحيحاً أن يدخل فجأة عدد من الناس إلى الحرم المطهر للإمام علي بن موس الرضا (عليه السلام) ويزحفون على صدورهم مسافة مائتي متر نحو المرقد، كلا، إنه عمل خاطئ، إنه استهانة بالدين وبحرمة الزيارة، من يروّج هذه الأمور بين الناس. ليكفوا عن ذلك، إنه من عمل الأعداء.

عليكم أن تبينّوا هذه الحقائق للناس حتى تتفتّح أذهانهم. الإسلام دين منطقي، والفهم الشيعي للإسلام هو الأكثر منطقية من غيره. ولا

يتمكن أحد أن يتهّم الشيعة بضعف منطقهم؛ لأن علماء الكلام من الشيعة كانوا كالشموس الساطعة في عهدهم، سواء الذين عاصروا حياة الأئمة كمؤمن الطاق وهشام بن الحكم أو الذين جاؤوا بعد الأئمة كبني نوبخت والشيخ المفيد وغيرهم والمتأخرين من علماء الكلام الشيعة كالمرحوم العلامة الحلّي وغيرهم.

فنجن الشيعة أهل المنطق وأهل الإستدلال المنطقي وإن الكتب الخاصة بالشيعة مفعمة بالإستدلالات المنطقية القوية ككتب المرحوم شرف الدين وكتاب الغدير للمرحوم العلامة الأميني في عصرنا الحاضر التي تستند إلى أدلة أقوى من الاسمنت المسلّح.

هذا هو التشيّع وليس تلك الأعمال التي لا تستند إلى أي دليل وهي أشبه بشيء من الخرافات، فلماذا يروّجون هذه الأعمال؟ إنه من الأخطار الكبرى التي يجب على علماء الدين وحماة العقيدة أن ينتبهوا إليها.

لقد أشرت إلى أنه قد يكون هناك من يقول من منطلق التعاطف أنه كان الأفضل أن لا يتطرّق فلان إلى هذه الأمور في الوقت الحاضر، ولكن ليس الأمر بهذه الصورة. كان عليّ أن أتطرّق إلى هذا الموضوع، فإنّ مسؤوليتي أكثر من الآخرين، كما أن على الآخرين أن يحذّروا من هذه الأعمال وعليكم أن تشيروا إلى هذه الأمور، وإن الإمام الراحل رضوان الله عليه ذلك القائد الجريء إنما كان يتصدّى بمنتهى القوة ودون أية اعتبارات لكل ثغرة تشمّ منها رائحة الإنحراف، ولو كانت هذه

الأعمال رائجة بهذه الصورة على عهده لتصدّى لها بلا ريب.

كما أن بعضاً من الذين تعلّقوا بهذه الأمور سيتأثّرون نفسياً ويقولون لماذا هذا الجفاء من فلان إزاء الأمور التي نتعلّق بها؟ ولماذا تطرّق لها بهذه اللهجة؟ وطبيعي أن هؤلاء معظمهم من المؤمنين الصادقين إلاّ أنهم على خطأ واشتباه، وأن لهذا الأمر مسؤولية كبيرة يتحمّلها السادة العلماء والخطباء أينما كانوا. فمجلس العزاء على الحسين بن علي عليه السلام هو ذلك المجلس الذي يجب أن يكون منشأً للمعرفة ومتميّزاً بالأمور الثلاثة التي أشرت إليها آنفاً.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمّن عليكم بالموفقية وان يلهمكم القوة والشجاعة والجد في متابعة ما فيه رضا الله وتبيين ذلك، وستقومون بهذا الواجب إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتشخيص الواجب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أرَحب بالسادة الحضور من العلماء والروحانيين والخطباء المحترمين في هذا المجلس وأغتنم هذه الفرصة لعرض قضايا ترتبط بمصير الإسلام والثورة هذه الأيام. هناك نكات كثيرة في قضية ثورة عاشوراء بحيث لو بحثها العالم الإسلامي والمفكرون الإسلاميون من أبعادها المختلفة ودققوا النظر في ظروفها المختلفة ومقدماتها ولواحقها وما أحاط بهذه الحادثة فسيصبح بالإمكان تحديد سبل الحياة الإسلامية ووظائف الأجيال المسلمة في جميع الأزمنة.

وأحد هذه الدروس هي هذه النكتة المهمة وهي أن الحسين بن علي عليه السلام قد شخّص في وقت حساس جداً من تأريخ الإسلام الوظيفة الرئيسية من بين الوظائف المتنوعة والتي لها مراتب متفاوتة من الأهمية، وأنجزها ولم يخطئ أو يشتبه في معرفة ما كان العالم الإسلامي في ذلك اليوم بحاجة إليه. لقد كان تشخيص الوظيفة الأصلية دائماً أحد نقاط الخلل والضعف في حياة المسلمين في العصور المختلفة. يعني أن أفراد الأمة والقيادة والرجال البارزين في العالم الإسلامي يخطئون في تشخيص الوظيفة الأصلية في مقطع من

---

(١) في ١٤١٣/١/٢٨هـ. بحضور جمع من علماء وخطباء محافظة طهران.

الزمن بمعنى أنهم لا يعلمون ما هي الوظيفة الأصلية وأنه يجب الشروع بها وحتى إذا لزم الأمر يجب التضحية بسائر الأمور في سبيلها ولا يعلمون ما هي الوظيفة الفرعية والتي تأتي في الدرجة الثانية. يجب أن يُعطى كل عمل الأهمية التي يستحقها ويسعى في سبيل تحقيقها.

في نفس الوقت الذي تحرك به الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) كان هناك أشخاص إذا قيل لهم: هل ننتفض أو لا؟ فإن جوابهم سيكون بالنفي لعلمهم بأن وراء هذا العمل مشاكل ومتاعب كثيرة ويذهبون وراء وظائف من الدرجة الثانية كما رأينا أن البعض قد قام بهذا العمل فعلاً. لقد كان هناك أشخاص مؤمنون وملتزمون بين الذين لم ينهضوا مع الإمام الحسين (عليه السلام). فليس من الصحيح أن يُعَدوا جميعاً من أهل الدنيا، لقد كان بين رؤساء ورموز المسلمين في ذلك الوقت أشخاص مؤمنون وأشخاص يرغبون بالعمل وفقا للتكليف. لكنهم لم يدركوا التكليف الرئيسي، ولم يشخصوا أوضاع ذلك الزمان. ولم يعرفوا العدو الرئيسي وكانوا يخلطون بين الوظيفة الرئيسية المحورية والوظائف التي هي من الدرجة الثانية أو الثالثة. ولقد كان هذا الأمر أحد الإبتلاءات العظيمة للعالم الإسلامي، ويمكن أن نبتلى نحن ـ اليوم ـ بذلك أيضاً. من الممكن أن نخطئ في تشخيص ما هو أهم فنعالج أشياء أقل أهمية. يجب اكتشاف تلك الوظيفة الأساسية والتي يعتمد عليها قوام وحياة المجتمع. ذات يوم كان يطرح في بلادنا الصراع

ضد الإستعمار والإستبداد وضد جهاز الطاغوت الكافر، لم يكن البعض يشخصون الوظيفة الأصلية، ويتمسكون بأعمال أخرى. هؤلاء الأشخاص الذين ربما كان عندهم دروس أو مؤلفات أو كانوا يديرون حوزة علمية تبليغية صغيرة، أو أنهم كانوا يتحملون مسؤولية إرشاد جمع قليل من الناس، هؤلاء كانوا يعتقدون أنهم لو خاضوا في قضية الصراع فإن هذه الأعمال ستبقى معطلة! لقد كان هؤلاءِ يتركون النضال على عظمته وأهميته من أجل أن لا تتوقف تلك الأعمال! وهذا يعني الخطأ في تشخيص الواجب المهم والأهم.

لقد أوضح الإمام الحسين بن علي ﷺ في بيانه للجميع أن أهم وظائف العالم الإسلامي في تلك الظروف هو الصراع مع رأس القوة الطاغوتية والإقدام على إنقاذ الناس من سلطتها الشيطانية. من البديهي أن الحسين بن علي ﷺ عندما يتجه إلى العراق لأجل واقعة كواقعة عاشوراء، فإنه سوف يُحرم من البقاء في المدينة وتبليغ الأحكام الإلهية للأمة وبيان معارف أهل البيت ﷺ وتعليم وتربية المسلمين، ولن يستطع أن يُعلّم الناس الصلاة وينقل لهم أحاديث الرسول ﷺ وبالطبع سوف تتعطل حوزته العلمية ونشره للمعارف وسوف يحرم من تقديم العون للأيتام والمساكين والفقراء في المدينة. كل هذه كانت وظائف يقوم بها الإمام ﷺ قبل حركته باتجاه العراق ولكنه جعلها جميعاً فداء للوظيفة الأكثر أهمية، وحتى أنه ضحى بحج بيت الله في سبيل التكليف الأهم ـ كما يتناقل الخطباء

والمبلغون هذه القضية على ألسنتهم ـ وهذا في وقت شرعت فيه الناس بالوفود إلى بيت الله الحرام. فماذا كان ذلك التكليف؟ لقد كان ـ حسبما قال ذلك الإنسان العظيم بنفسه ـ هو الصراع مع الجهاز الحاكم الذي هو منشأ الفساد.

«أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي» هذا هو التكليف. أو كما قال في خطبة أخرى في طريقه «أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً بعهد الله... فلم يغير عليه بقول ولافعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

التكليف عبارة عن تغيير سلطان الظلم والجور والقدرة التي تعيث في الأرض فساداً وتجر البشرية بإتجاه الهلاك والفناء المادي والمعنوي. هذه هي فلسفة نهضة الحسين بن علي عليه السلام والتي اعتُبرت المصداق الحقيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب الإنتباه إلى هذه النقاط. الإمام أبي عبد الله عليه السلام تحرك على ضوء التكليف الأهم وضحى بالتكاليف الأخرى في سبيل التكليف الأهم. كان يشخص العمل الواجب في وقته. هناك حركة في كل زمان للمجتمع الإسلامي. في كل عصر هناك عدو وجبهة وخصم يهدد الإسلام والمسلمين ويجب أن يعرف ذلك العدو. فلو اشتبهنا في معرفة العدو والجهة التي يتعرض منها الإسلام للأذى والهجوم فسوف نخسر خسارة كبيرة لا يمكن

جبرانها. ولو غفلنا عن ذلك فإن فرصاً كثيرة ستضيع من أيدينا. نحن موظفون بأن نخلق حالة قصوى من الحذر والإنتباه وتحديد الأعداء ومعرفة التكاليف لدى شعبنا والعالم الإسلامي. اليوم ونظراً لإقامة الحكومة الإسلامية وارتفاع راية الإسلام ـ الأمر الذي لا سابقة له في طول التأريخ الإسلامي بعد الصدر الأول ـ فإن الإمكانات متوفرة للمسلمين ولا يحق لنا بعد الآن أن نغفل عن معرفة العدو ونخطئ في تشخيص الجهة التي يهجم منها.

لقد كان جُلّ سعي إمامنا العزيز رحمه الله والأشخاص الذين كانوا يرافقونه في نهضته ـ على اختلاف مراتبهم وعلى حسب إمكانياتهم ومستوياتهم ـ هو أن يُعلّم العالم الإسلامي ومجتمع إيران الإسلام وقاعدة الحق والعدالة ما هو الخطر الأكبر الذي يحدق بهم وما هو العدو الأكثر تهديداً لهم. واليوم كسائر ما مضى فإن الهجمة العظمى والخطر الجارف ينشأ من الهيمنة العالمية والقوى الكافرة والمستكبرة. هذا أكبر الأخطار التي تهدد وجود المسلمين. صحيح أن الضعف يمكن أن يفرضه العدو بإمكاناته الضخمة على ذلك المجتمع.

لا ينبغي لنا أن نشتبه، يجب أن تكون مسيرة المجتمع الإسلامي في الإتجاه المخالف للإستكبار والهيمنة العالمية والتي تسود هذه الأيام على العالم الإسلامي. القوى العظمى تعادي الإسلام ويقظة المسلمين. إنهم يحاربون إيران الإسلام بسبب إسلاميتها، إن كل سعيهم

لإخماد الحركة الإسلامية في العالم، وبالطبع فان أميركا هذه الدولة المتجبرة والمعتدية تقف في رأس قائمة أعدائنا ويتلوها سائر القوى الصغيرة والكبيرة التي لها خصومة تأريخية وتضاد مصلحي مع الإسلام أو أنهم يخشون منه. إن خصومتهم مع إيران الإسلامية ناشئة عن انطلاق الصحوة الإسلامية من هذا المكان، فجميع الشعوب الإسلامية وفي كل أرجاء الدنيا تستمد اليوم آمالها من هذه الحركة والثورة المنتصرة وترسّخ خطواتها وتتقدم. فلو استطاع الأعداء ـ والعياذ بالله ـ أن يهزموا الإسلام في هذه النقطة من العالم فإنهم سيحققون أكبر نصر إثم مقابل موج الصحوة الإسلامية العالمية. هذه حقيقة ملموسة اليوم لا ينبعي أن نخطئ في تشخيص عدونا ولا ينبغي توهّم أن العدو قد صرف نظراً عن عدائه للإسلام والمسلمين.

أنظروا اليوم إلى ما فعله الأعداء مع مسلمي أوروبا والدولة الإسلامية الصغيرة في قلب أوروبا أعني «البوسنة والهرسك». فهنالك الآلاف من المدنيين يتعرضون للقتل والإغارة في أقسى الظروف والمصائب وفي عقر دارهم. ولو لم نقل أن الدول الكبرى تشجع المعتدين الصرب وتقدم لهم المعونة فعلى الأقل أنها جلست مكتوفة الأيدي حتى يتسنى لهم الإبادة التامة للمسلمين في تلك المنطقة والقضاء عليهم بما يمتلكه الصرب من الأسلحة المتنوعة والجيش المنظم والدعم الواسع. هدفهم هو عدم إبقاء هذا المجتمع المسلم على شكل دولة إسلامية في قلب أوروبا. وقد ذكرت سابقاً أن العالم

الإسلامي إذا لم يحرك ساكناً بغية الدفاع عن هؤلاء المسلمين المظلومين، فإن أية فئة مسلمة تسعى في المستقبل لتكون بمثابة دولة أو مجموعة كبيرة في دولة في قلب أوروبا ستتعرض لنفس هذه الضغوط. نحن قلقون بشدة بشأن مصير مسلمي البوسنة والهرسك. إنهم مسلمون وإخوة لنا، إنهم أقلية مظلومة وسط مجموعة من العناصر المعادية للإسلام في البلدان المختلفة وتقف في مواجهتهم فئة مسلحة تتكئ على جيش قوي وهي مجهزة بأسلحة متطورة وحديثة. هؤلاء الصرب هم الذين كانوا يدعمون العراق في السنوات الماضية سواء من الناحية العسكرية أو غير العسكرية ومن مركز يوغسلافيا سابقاً. بالطبع فلقد قمنا بواجبنا (بالقدر المستطاع) تجاه هؤلاء المسلمين، لقد دعمتهم الجمهورية الإسلامية في مختلف المجالات. ولكن هذا القدر ليس كافياً أيضاً بل يجب أن يقدم جميع المسلمين في العالم المعونة لهم.

هذه أحد مظاهر العداء للإسلام، وأجلى مظهر لها هو الضغط المتواصل على الجمهورية الإسلامية، وكما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1] حقاً أن هذا البيان لمن معجزات القرآن، فان الأعداء لن يرضوا عن المسلمين إلاّ إذا تخلوا عن الإسلام. والمقصود من التخلي عن الإسلام هو انعدام الروح الإسلامية والأحكام الإسلامية والقوة الحياتية للإسلام بين المسلمين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

فلو كان المسلمون أمواتاً وغير عارفين بالمباني العالية للإسلام ـ وان كانوا يُطبّقون بعض ظواهره فقط ـ فإن الأعداء لا يأبهون بنا كثيراً ولا يعادوننا. ولكن ذلك ليس هو الإسلام، ليس ذلك الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]. أما أن تجلس فئة من الناس يتفرجون فقط على حوادث العالم بل يتفرجون حتى على القضايا الداخلية في مجتمعهم فلا يتطابق هذا مع الإسلام. إن المسلمين اليقظين وذوي الإطلاع والذين يستعملون قواهم لأجل بناء العالم بشكل صحيح ولا يرهبون شيئاً في هذا المجال هؤلاء يبغضهم الاستكبار العالمي، وقد لمسنا هذا البغض خلال السنوات الأخيرة وبأشكال مختلفة، ونشاهد اليوم أيضاً أشد هذه الأعمال الحاقدة في مختلف المجالات الثقافية والإقتصادية والسياسة والإعلامية.

اليوم لا يوجد هجوم عسكري علينا، لقد تكاتف الأعداء أمامنا طوال ثماني سنوات من الحرب المفروضة وبصورة علنية. في الظاهر كان العراق فقط ولكن أمريكا والناتو وسائر الدول الرجعية، كلها كانت خلف العراق. هذه الحقيقة التي ذكرناها مراراً وتكراراً وطوال ثماني سنوات ولكن كان الكثيرون غير مستعدين لأن يصدقوا كلامنا، ولكن نفس الجهات التي كانت تجهز العراق تعترف اليوم بهذا الأمر. في ذلك الوقت كانت الحرب العسكرية وفي الحقيقة كان كل عالم الاستكبار والكفر يحارب الإسلام والجمهورية الإسلامية. واليوم توجد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

هجمات شديدة أخرى لا سابقة لها، ويجب أن تكون الأمة الإسلامية في مقابل هذه الهجمات حية يقظة، محصنة، واثـقة بالنفس ومستعدة لتوجيه ضربتها القاصمة ومقاومة الهجمة الشاملة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد طرحت قبل مدة وجيزة مسألة الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر.

وبالطبع لم تكن مسألة جديدة، فمسالة الأمر بالمعروف تكليـف دائمي للمسلمين.

حياة المجتمع منوطة بوجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قوام المجتمع الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو لـم ينجز هذا العمل «لَيُسَلِّطنَّ الله عليكم شـراركم فيـدعوا خيـاركم فـلا يستجاب لهـم». قـوام الحكومـة الإسـلامية وبقـاء حاكميـة الأخيـار مرهونان بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر. ولـيس الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر هـو الـتلفظ بكلمتـين أو أكثـر لأجـل إسقاط التكليف فـي مقابـل المنكـرات التـي لا يعلـم كونهـا أخطـر المنكرات. عندما يكلف جميع أفراد الأمة بالأمر بـالمعروف والنهـي عن المنكر، فما معنى ذلك؟ متى يمكن أن يكون كل أفراد المجتمـع آمرين بالمعروف وناهين عن المنكـر؟ الجـواب هـو عنـدما يحـضر الجميع في خضم قضايا البلاد حضوراً حقيقياً جاداً، يجـب أن يهـتم

الجميع بمسائل المجتمع ويعتنوا بها. يجب أن يصبح الجميع خبراء في هذا المجال.

يجب أن يكون الجميع على إطلاع بالمعروف والمنكر. وهذا بمعنى رقابة وحضور وتعاون الجميع. وبمعنى الإطلاع الكافي لدى الجميع.

هذا هو معنى الأمر بالمعروف، وإلاّ فلو أمرنا بالمعروف في دائرة ضيقة وحصرناها ضمن أفراد مشخصين، والعدو ينفث سمومه ويقول أن إيران قد قررت التعامل بهذه الوسيلة مع مَنْ لا يرتدين الحجاب الكامل، فهذا ليس صحيحاً. هل إن معنى الأمر بالمعروف هو أن يطبق هذا الواجب العظيم والذي يتقوم به كل شيء في دائرة ضيقة في شوارع طهران وبالنسبة لبعض الناس ممن لا يراعون الزي الإسلامي؟ هل هذا هو معنى حضور القوى المؤمنة في ميادين المجتمع المختلفة؟ كلا، القضية أبعد من هذه الكلمات، فإن المخالفات ليست بمستوى واحد. المخالفات ليست فقط هي المخالفات الفردية. أخطر المخالفات والجرائم تلك التي تضعف أساس النظام القائم. فبث اليأس في نفوس الناس والقلوب المتفائلة، والإيحاء بإنحراف الصراط المستقيم وإضلال المؤمنين والمخلصين، وسوء الإستفادة من الأوضاع والأحوال المتنوعة في المجتمع الإسلامي، وإعانة العدو، ومعارضة ترسيخ الأحكام الإسلامية ومقررات الإسلام، والسعي لجر الشباب المؤمن للفساد، هذه كلها منكرات مهمة وخطيرة.

اليوم تسعى أياد خفية لترويج الفساد بين الشباب بطرق جماعية وبتوجيه من الأعداء ـ لا بالشكل الذي ترونه في الشارع وتشاهدونه ـ يجرون أولادنا للفساد وعدم المبالاة. هذه منكرات، المنكرات أخلاقية وسياسية وإقتصادية كذلك. وكل مكان أيضاً قابل للنهي عن المنكر فيه.

يستطيع الطالب أن ينهي عن المنكر في بيئته العلمية الدراسية، الموظف الشريف يتمكن من النهي عن المنكر في المحيط الذي حوله، والكاسب المؤمن قادر على النهي عن المنكر في محيط عمله، والفنان أيضاً ينهي عن المنكر بوسائله الفنية، والروحانيون من أهم عوامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي مختلف الأجواء، لا يجوز حصر هذا الواجب العظيم في دوائر ضيقة. هذا العمل، وظيفة الجميع، ولا يختص بفئة مثل القوات المسلحة أو السلطات المحلية، إنه عمل الجميع. .يجب أن تنهوا عن المنكر، وتقفوا في مقابل أي منكر، هذا العمل وظيفة الأمة، نعم على علماء الدين أن يوجهوا الناس، ويشرحوا لهم كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارد هما.

يجب أن نحدد موارد الخطر جميعاً، المواضع التي منها يهدد الخطر مجتمعنا الإسلامي، يجب أن نحددها بدقة، ينبغي أن نحلل لأنفسنا وللناس كل العبر التي استقيناها من الصدر الأول للإسلام، وأهم وظيفة في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي ضرورة تواجد القوات المؤمنة والحزب اللهية الآمرة بالمعروف والناهية

عن المنكر وكل من لهم دوافع مماثلة في ميدان النظام الإسلامي وفي كل الميادين الأخرى. الإنتماء إلى حزب الله يعني الإستعداد لأداء التكليف الإلهي، وهذه أحد القيم الثورية في النظام الإسلامي، كل من يملك روحية (حزب الله) مفضل على من لا يملك هذه الروحية. في نظام الجمهورية الإسلامية، المدير والأستاذ والمسؤول والآمر والفنان والكاتب المنتمي إلى حزب الله مفضّل على الآخرين. لا ينبغي أن يتوهّم أن الـ (حزب اللهي) شاب متهور مشاغب لا حصيلة ثقافية لديه، كلا ليس الأمر كذلك. فبين الكوادر المتخصصة والمتفوقين والمدراء والعلماء والأساتذة يوجد الكثير من أعضاء حزب الله. لا ينبغي أن نرسم صورة خاطئة في أذهاننا عن حزب الله، يجب أن يتميز حضور العناصر المختلفة من حزب الله في الميادين المختلفة، ويجب على الأجهزة التنفيذية بما فيها القضائية والحكومية أن تعمل بأسلوب علمي على ترسيخ هذه القيم لدى المسؤولين والعناصر التنفيذية فيها. الجهاز الإداري السالم يمكن أن يقدم نتائج أكبر.

متى يمكن أن يكون جهازنا الإداري سالما؟ الجواب عندما تكون العناصر المؤمنة المخلصة وبعبارة أدق (الحزب اللهية) ذات تأثير فيه، وعندما يتصدى للأمور مدراء ومسؤولون ومتخصصون جيدون. لا ينبغي أن نتبع النظريات التي كان أعداؤنا يطرحونها في السنوات الماضية أعني التفكيك بين العناصر المؤمنة والكوادر المتخصصة (ولا أزال أتذكر أولئك الذين كانوا يطرحون هذه

النظريات). لقد كان هناك بحث منحرف عن مَنْ يتصدى لمقاليد الأمور، المؤمنون أم المتخصصون؟ (وكأنه يوجد هناك تضاد بين المؤمن والمتخصص).

العناصر المؤمنة اليوم وبعد مضيّ ثلاث عشرة سنة موجودة ـ بحمد الله ـ على كافة مستويات الثورة، على مستوى إتخاذ القرار، على مستوى الإدارة العالية للمجتمع وعلى مستوى المسؤولين العسكريين في الحرس والجيش وقوات التعبئة، أما الشعب فأمره غني عن البيان، إنه شعب مؤمن وممتحن.

شعبنا غير مستعد لأن يوضع حاجز بينه وبين الإسلام والقرآن وأهل البيت (عليهم السلام).

شعبنا هو أول شعب استطاع باعتماده على القرآن وبرفعه شعار الإسلام والقرآن أن يهزم نظاماً سياسياً بتلك العظمة تؤازره أمريكا وعالم الاستكبار.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا في طريق ذات الشوكة طريق الجهاد في سبيل الله حتى نتمكن من تحديد تكليفنا ووظيفتنا وفهمها ونتمكن من الإستمرار بقوة وحزم في طريق الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وطريق الحسين بن علي (عليه السلام) وطريق الثورة إن شاء الله.

إن شاء الله سيرى شعبنا المسلم والشعوب الإسلامية الأخرى غداً أحلى وأكثر إشراقاً في ظل الإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وجود الخطر لا يسقط التكليف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه ونستغفره، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته، سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد ﷺ وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين المعصومين المطهّرين الهداة المهديين سيّما بقيّة الله في الأرضين. وصلِّ على أئمّة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «حسين منّي وأنا من حسين»[2]. وعنه ﷺ أنّه قال: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[3].

أوصي جميع الأعزّة من الأخوة والأخوات ونفسي بخشية الله والتزام التقوى والإجتناب عن الذنوب ونيل رضا الباري المتعال (جلّت عظمته)، فهذه روح وهدف الحياة، وهي السبب لسعادتنا وبياض وجوهنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[4] وكذلك في الحياة الدّنيا.

---

(١) في ١٤١٦/١/١٠هـ خطبة الجمعة بمناسبة يوم عاشوراء (طهران).
(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٦١.
(٣) بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٢٠٤.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.

لماذا ثار الحسين عليه السلام؟

إنّني اليوم وبمناسبة يوم عاشوراء، سأتحدّث عن ثورة الحسين عليه السلام، وإنّه لشيء عجيب، إذ أنّ حياتنا مليئة بذكر الحسين عليه السلام، وإنّنا نشكر الله على ذلك.

لقد قيل الكثير عن نهضة هذا العظيم، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، كلّما اتّسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده، فقد بقي الكثير ممّا لم يقال عن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة الّتي لا نظير لها. فعلينا أن نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقوله للآخرين.

لو نظرنا الحادثة منذ أن خرج أبو عبد الله عليه السلام من المدينة وتوجّه نحو مكّة إلى أن استُشهد في كربلاء، لأمكننا أن نقول إنّ الإنسان يستطيع عدّ مائة درس مهمّ في هذا التحرك الّذي استمرّ أشهر معدودة فقط. ولا أودّ القول آلاف الدروس وإن أمكن قول ذلك حيث تعتبر كلّ إشارة من ذلك الإمام العظيم درساً، لكن عندما نقول مائة درس أي لو أردنا أن ندقّق في هذه الأعمال لأمكننا استقصاء مائة عنوان وفصل، وكلّ فصل يعتبر درساً لأمة وتاريخ وبلد ولتربية النفس وإدارة المجتمع وللتقرّب إلى الله. هكذا هو الحسين بن علي (أرواحنا فداه وفداء اسمه وذكره) كالشمس الساطعة بين القديسين، أي إن كان الأنبياء والأئمّة والشهداء والصالحين كالأقمار والأنجم، فالحسين عليه السلام كالشمس الطالعة بينهم، كلّ ذلك لأجل هذه الأمور.

وإلى جانب المائة درس هـذه، هنـاك درس رئيـسي فـي هـذا التحرّك، سأسعى لتوضيحه لكم وهو لماذا ثار الحسين عليه السلام؟ لمـاذا ثرت يا حسين رغم كونك شخصيّة لها احترامها في المدينـة ومكّـة، ولك شيعتك في اليمن، إذهب إلى مكان لا عليـك بيزيـد ولا ليزيـد عليك شيء، تعيش وتعبد الله وتبلّغ؟

هذا هو السؤال والدرس الرئيسي، ولا نقول إنّ أحداً لم يشر إلى هذا الأمر من قبل، فقد حقّقوا وتحدّثوا كثيراً في هذه القضيّة، وما نودّ قوله اليوم ـ وفي رأيي ـ هو استنتاج جامع ورؤية جديدة للقضيّة.

إنّ البعض يقول: إنّ هدف ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام هـو إسقاط حكومة يزيد الفاسدة وإقامة حكومة بدلها.

هذا القول شبه صحيح وليس خطأ، لأنّه لو كان القصد من هـذا الكلام هو أنّ الحسين عليه السلام ثار لأجل إقامة حكومة وعندما يرى عدم إمكانيّة ذلك، يقول لم نتمكّن من ذلك، فلنرجع.

إنّ من يثور لأجل إقامة حكومة، سيستمرّ مـادام يـرى إمكانيـة ذلك، فإن احتمل عـدم الإمكـان أو عـدم وجـود احتمـال عقلائـي، فوظيفته أن يرجع. فالّذي يقول إنّ هدف الإمام عليه السلام من هذه الثـورة هو إقامة الحكومة العلويّة الحقّة، فهذا غير صحيح؛ لأنّ مجموع هـذا التحرّك لا يدلّ على ذلك. وسأبين ذلك لاحقاً.

والبعض على العكس من ذلك، قالوا: ما الحكومة؟ إنّ الحسين كان يعلم بعدم تمكّنه من إقامة الحكومة، إنّه جاء لأجل أن يقتل ويستشهد.

لقد شاع هذا الكلام على الألسن كثيراً فترةً من الزمن، وكان البعض يصنع ذلك بتعابير جميلة، ثمّ رأيت أنّ بعض كبار العلماء قد قالوا ذلك أيضاً، فهذا لا يعتبر كلاماً جديداً وهو أنّ الإمام عليه السلام ثار لأجل أن يستشهد، لأنّه رأى أنّه لا يمكنه عمل شيء بالبقاء، فقال يجب أن أعمل شيئاً بالشهادة.

هذا الرأي أيضاً لا يوجد في المصادر الشرعيّة الإسلاميّة ما يؤيّد حجّة إلقاء الإنسان نفسه للقتل. إنّ الشهادة الّتي نعرفها في الشرع المقدّس والآيات والروايات معناها أن يتحرّك الإنسان ويستقبل الموت لأجل هدف مقدّس واجب أو راجح، هذه هي الشهادة الإسلاميّة الصحيحة. أمّا أن يتحرّك الإنسان لأجل أن يقتل فلا، إذن هذا الأمر وإن كان فيه جانباً من الحقيقة لكن لم يكن هدف الحسين عليه السلام.

إذن ـ باختصار ـ لا يمكننا القول: إنّ الحسين عليه السلام ثار لأجل إقامة الحكومة، ولا أن نقول: إنّه ثار لأجل أن يستشهد. وإنّني أتصوّر أنّ القائلين بأنّ الهدف هو الحكومة أو الهدف هو الشهادة قد خلطوا بين الهدف والنتيجة. فالهدف لم يكن ذلك، بل كان للإمام الحسين عليه السلام هدف آخر، كان الوصول إليه يتطلّب طريقاً وحركة تنتهي بإحدى النتيجتين: الحكومة أو الشهادة، وكان الإمام مستعداً لكلتا النتيجتين، فقد أعدّ مقدّمات الحكم وكذا مقدّمات الشهادة، فإذا تحقّق أيّ منهما، كان صحيحاً، لكن لم يكن أيّ منهما هدفاً، بل كانا نتيجتين.

هدف الإمام الحسين عليه السلام هو أداء واجب عظيم

إذن ما هو الهدف؟ أقول باختصار ثم أبدا بتوضيحه قليلاً.

لو أردنا بيان هدف الإمام الحسين عليه السلام، فينبغي أن نقول هكذا: إنّ هدف ذلك العظيم كان أداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤدّه أحد قبله، لا النبي صلى الله عليه وآله ولا أمير المؤمنين عليه السلام ولا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، واجب يحتلّ مكاناً مهمّاً في البناء العام للنظام الفكري والقيمي والعملي للإسلام. ورغم أنّ هذا الواجب مهمّ وأساسي، لكنّه لماذا لم يُقَمْ بهذا الواجب حتّى عهد الإمام الحسين عليه السلام؟ كان ينبغي على الإمام الحسين عليه السلام القيام بهذا الواجب ليكون درساً على مرّ التاريخ، مثلما أنّ تأسيس النبي صلى الله عليه وآله للحكومة الإسلاميّة أصبح درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبي صلى الله عليه وآله في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشريّة إلى الأبد. فكان ينبغي أن يُودّي الإمام الحسين عليه السلام هذا الواجب ليصبح درساً عمليّاً للمسلمين على مرّ التاريخ.

ولماذا قام الإمام الحسين عليه السلام بهذا الواجب؟ لأنّ أرضية هذا العمل قد مُهِّدت في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فلو لم تمهّد هذه الأرضيّة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، كأن مُهّدت ـ وعلى سبيل المثال ـ في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام لقام الإمام علي الهادي عليه السلام بهذا الواجب، لصار هو ذبيح الإسلام العظيم، ولو اتّفق ذلك في زمن

الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) لقام به، أو اتّفق في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) لقام به الإمام الصادق (عليه السلام)، لكنّ لم يتّفق ذلك في زمن الأئمّة حتّى عصر الغيبة إلاّ في عصر الإمام الحسين (عليه السلام).

إذن كان الهدف أداء هذا الواجب، فعندها تكون نتيجة أداء الواجب أحد الأمرين إمّا الوصول إلى الحكم والسلطة وكان الإمام الحسين (عليه السلام) مستعداً لذلك؛ ليعود المجتمع كما كان عليه في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، أو يصل إلى الشهادة وكان الإمام الحسين مستعداً لها أيضاً.

فإنّ الله قد خلق الحسين والأئمة بحيث يتحمّلون مثل هذه الشهادة لمثل لهذا الأمر، وقد تحمّل الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك. هذا خلاصة الأمر.

ما التكليف لو انحرف المجتمع الإسلامي؟

وأمّا توضيح هذا الأمر:

أنظروا أيّها الأخوة والأخوات المصلّون الأعزّاء، إنّ النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ـ وكذا أيّ نبيّ ـ عندما بعث، أتى بمجموعة من الأحكام، بعضها فرديّة لإصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات البشريّة وإدارة الحياة البشريّة. هذه المجموعة من الأحكام يقال لها النظام الإسلامي. فعندما نزل الإسلام على القلب المقدّس للنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فجاء بالصلاة والصوم والزكاة والإنفاقات والحجّ والأحكام الأسريّة والعلاقات الفرديّة، ثمّ جاء بالجهاد في سبيل

الله وإقامة الحكومة والنظام الإقتصادي وعلاقات الحاكم بالرعيّة ووظائف الرعية تجاه الحاكم. هذه المجموعة من الأحكام عرضها الإسلام على البشر، وبيّنها النبي الأكرم ﷺ: «ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة ويبعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به»[1]. ولم يبيّن النبيّ الأكرم ﷺ كلّ ما يسعد الإنسان والمجتمع الإنساني فحسب، بل طبّقها وعمل بها، فقد أقام الحكومة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي، وطبّق الإقتصاد الإسلامي، وأقيم الجهاد واستحصلت الزكاة، فشيّد نظاماً إسلاميّاً وأصبح النبيّ الأكرم ﷺ وخليفته من بعده معمار وقائد هذا النظام. كان الطريق واضحاً وبيّناً، فوجب على الفرد وعلى المجتمع الإسلامي أن يسير في هذا الطريق وعلى هذا النهج، فإن كان كذلك بلغ الناس الكمال، وأصبحوا صالحين كالملائكة، وذهب الظلم والشرّ والفساد والفرقة والفقر والجهل بين الناس، ووصل الناس إلى السعادة الكاملة ليصبحوا عباد الله الكُمّل.

حسناً، يبقى ـ هنا ـ سؤال وهو: لو صرفت يد أو حادثة القطار الّذي سيّره النبي الأكرم ﷺ عن مسيره، فما هو التكليف؟؟ لو انحرف المجتمع الإسلامي وبلغ الإنحراف درجةً بحيث خيف انحراف أصل الإسلام والمبادئ الإسلاميّة ـ لأنّ الإنحراف على قسمين، فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكّام والعلماء ومبلّغو

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٧٠.

الدِّين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويحرَّف الإسلام ١٨٠ درجة ـ فلو ابتلى النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذ؟

لقد بيّن النبي ﷺ وحدّد القرآن التكليف ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[1]. إضافة إلى آيات وروايات كثيرة أخرى.

لكن هل تمكّن النبي ﷺ من العمل بهذا الحكم الإلهي؟ كلاّ، لأنّ هذا الحكم الإسلامي يُطبّق في عصر ينحرف فيه المجتمع الإسلامي ويبلغ حدّاً يخاف فيه من ضياع أصل الإسلام، والمجتمع الإسلامي لم ينحرف في عهد رسول الله ﷺ، ولم ينحرف في عهد أمير المؤمنين بتلك الصورة، وكذا في عهد الإمام الحسن عليه السلام عندما كان معاوية على رأس السلطة، وإن ظهرت الكثير من علائم ذلك الإنحراف، لكنّه لم يبلغ الحدّ الّذي يخاف فيه على أصل الإسلام. نعم، يمكن أن يقال إنّه بلغ في برهة من الزمن الحدّ، لكن في تلك الفترة لم تتاح الفرصة ولم يكن الوقت مناسباً للقيام بهذا الأمر.

إنّ هذا الحكم الّذي يعتبر من الأحكام الإسلاميّة لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، لأنّ الحكومة تعني إدارة المجتمع، فلو انحرف

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

المجتمع وفسد، وتعطّل الحكم الإلهي، ولم يوجد عندنا حكم وجوب تغيير الوضع وتجديد الحياة أو بتعبير اليوم (الثورة)، فما الفائدة في الحكومة في الإسلام. فالحكم الّذي يرتبط بإرجاع المجتمع المنحرف إلى الخطّ الصحيح لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، ويمكن أن يقال إنّه أكثر أهمّية من جهاد الكفّار ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الطبيعيين في المجتمع الإسلامي، بل وحتّى من العبادات الإلهية العظيمة كالحج. لماذا؟ لأنّ هذا الحكم ـ في الحقيقة ـ يضمن إحياء الإسلام بعد أن أشرف على الموت أو مات وانتهى.

حسناً، مَنْ الّذي يجب عليه أداء هذا الحكم وهذا التكليف؟ إنّه خليفة النبي الذي يقع في عصره هذا الإنحراف بشرط أن يكون الوقت مناسباً للقيام بذلك، لأنّ الله لا يكلّف بشيء لا فائدة فيه. طبعاً ليس معنى (أن يكون الوقت مناسباً) هو عدم وجود الخطر، كلاّ، ليس هذا هو المقصود. يجب أن يكون الوقت مناسباً، يعني أنّ الإنسان يعلم أنّ هذا العمل الّذي يقوم به تترتّب عليه نتيجة يعني إبلاغ النداء إلى الناس وإفهامهم وعدم بقائهم على خطأهم. وربّما أنّ الإسلام قد انحرف في عصر الإمام الحسين عليه السلام وكان الوقت مناسباً، لذا وجب على الحسين عليه السلام أن يثور. فالشخص الّذي تولّى السلطة بعد معاوية لم يراع حتّى جوهر الإسلام، وكان منغمساً في الخمر والمجون والتهكّم بالقرآن وترويج الشعر الإباحي المرفوض من قبل الإسلام، فكان يخالف الإسلام علناً، وكان بعمله هذا كنبع الماء العفن

الّذي يفسد ما حوله. هكذا يكون الحاكم الفاسد، فبما أنّه يتربّع على قمّة المرتفع، فما يصدر منه لا يبقى في مكانه، بل ينتشر ليملأ ما حولـه، خلافاً للناس العاديين حيث يبقى فسادهم لأنفسهم أو للبعض ممّـن حولهم، طبعاً كلّ من شغل مقاماً ومنصباً أرفع في المجتمع الإسلامي كان ضرر فساده أكبر. لكن لو فسد من يقع على رأس السلطة لانتشر فساده وشمل كلّ الأرض، كما أنّه لو كان صالحاً، لامتدّ الصلاح إلـى كلّ مكان.

فشخص كهذا أصبح خليفة رسول الله ﷺ، فهل هناك انحراف أكبر من هذا؟

إذن الأرضيّة ممهّدة. وما معنى أنّ الأرضيّة ممهّـدة؟ هـل معنـاه عدم وجود الخطر؟ كلاّ، فالخطر موجود. فلا معنى أن يبقى من هـو على رأس السلطة ساكتاً أمام معارضيه ولا يخلق لهم المخـاطر، بـل من البديهي أن يوجّه لهم الضربات، فعندما نقول الوقـت المناسـب، فمعناه أن الظروف في المجتمـع الإسـلامي مواتيـة لأن يُبلّـغ الإمـام الحسين عليه السلام نداءه إلى الناس في ذلك العصر وعلى مرّ التاريخ.

فلو أراد الإمام الحسين عليه السلام الثورة في عصر معاويـة لمـا سُـمع نداؤه؛ وذلك لأنّ الحكم والسياسات كانت بـشكل لا يمكـن للنـاس فيها سماع قول الحقّ، لذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُقـدم علـى شيء ولم يثر أيّام خلافة معاوية، مثلما أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يثـر على معاوية، لأنّ الظروف لم تكن مواتية، لا أنّ الإمام الحسن عليه السلام لـم

يكن أهلاً لذلك، فلا فرق بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين الإمام الحسين (عليه السلام)، ولا بين الإمام الحسين والإمام السجّاد (عليه السلام)، ولا بين الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام عليّ الهادي (عليه السلام) أو الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، طبعاً منزلة الإمام الحسين (عليه السلام) ـ الّذي أدّى هذا الجهاد ـ أرفع من الّذين لم يؤدُّوه، لكنّهم سواء في منصب الإمامة، ولو وقع في عصر أيّ منهم هذا الأمر لثار ذلك الإمام ونال تلك المنزلة.

فالإمام الحسين (عليه السلام) واجه مثل هذا الإنحراف، والظروف كانت مواتية، فلا محيص للإمام (عليه السلام) من تأدية هذا التكليف. لهذا فعندما قال له عبد الله بن جعفر ومحمّد بن الحنفيّة وعبد الله بن عباس ـ الّذين كانوا من العلماء والعارفين بأحكام الدِّين ـ أن تحرّكك فيه خطر فلا تذهب، أرادوا أن يقولوا: إنّ التكليف قد سقط عنك لوجود الخطر. لكنّهم لم يدركوا أنّ هذا التكليف ليس بالتكليف الّذي يسقط بوجود الخطر، لأنّ مثل هذا التكليف فيه خطر دوماً، فهل يمكن لإنسان أن يثور ضدّ سلطة مقتدرة في الظاهر ولا يواجه خطراً.

لقد كانوا يقولون للإمام [الخميني (رضوان الله عليه)] إنّ الخطر في مواجهتكم للشاه، فهل أنّ الإمام لم يكن يعلم بالخطر؟ ألم يكن الإمام يعلم أنّ جهاز الأمن البهلوي يعتقل، يقتل، يعذّب، يقتل زملاء الإنسان وينفيهم؟ بلى فالّذي حدث في عصر الإمام الحسين (عليه السلام) حدث في عصر الإمام [الخميني] لكن بصورة أصغر. فقد كان هدف الإمام الحسين (عليه السلام) وهدف إمامنا العظيم مشتركاً وهو إرجاع الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الصراط المستقيم والخطّ الصحيح بعد أن

انحرف عن المسير وانحرف المسلمون نتيجة جهل وظلم واستبداد وخيانة البعض وكانت الظروف مواتية في عصرنا مثلما كانت مواتية في زمن الإمام الحسين ﴿ع﴾، فأقدم الإمام ﴿رض﴾ على نفس العمل، لكن مع فارق وهو أنّ الثورة ضدّ الحكم الباطل في عصرنا انتهت بإقامة الحكومة الإسلاميّة والحمد للّه، لكن ثورة الإمام الحسين ﴿ع﴾ كانت نتيجتها الشهادة، فهل أنّ الثورة في الصورة [الثانية] لا تصبح واجباً؟ وهل لا فائدة فيها إن كانت نتيجتها الشهادة؟ كلا، إنّ الثورة واجبة وإن انتهت بالشهادة، ولا فرق في ذلك انتهت بالشهادة أو الحكم، لكن لكلّ منهما نوع من الفائدة.

دلائل من أقوال الإمام الحسين ﴿ع﴾

إذن يمكننا أن نلخّص القضيّة بهذه الصورة وهي: أنّ ثورة الإمام الحسين ﴿ع﴾ كانت لتأدية واجب عظيم هو إعادة الإسلام والمجتمع الإسلامي إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الإنحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلامي. وهذا ما يتمّ بالثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. طبعاً ـ وكما قلتُ ـ فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وقد كان الإمام الحسين ﴿ع﴾ مستعداً لكلتا النتيجتين. ودليلي على ذلك هو ما استنتجته من أقوال الإمام الحسين ﴿ع﴾ نفسه، إنّني انتخبت بعض أقوال أبي عبد الله ﴿ع﴾ وكلّها تشير إلى هذا المعنى:

١ ـ عندما استدعى والي المدينة (الوليد) الإمام الحسين عليه السلام ليلاً وقال له: إنّ معاوية قد مات وعليك بمبايعة يزيد، فردّ عليه الإمام عليه السلام: «نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة»[١] وعند الصباح عندما لقي مروان أبا عبد الله عليه السلام طلب منه مبايعة يزيد وعدم تعريض نفسه للقتل، فأجابه الإمام عليه السلام: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»[٢].

فالقضيّة ليست شخص يزيد، بل مثل يزيد، ويريد الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: لقد تحمّلنا كلّ ما مضى، أمّا الآن فإنّ أصل الدِّين والإسلام والنظام الإسلامي في خطر إشارةً إلى أنّ الإنحراف خطر جدّي، فالقضيّة هي الخطر على أصل الإسلام.

٢ ـ في وصيّته إلى أخيه محمّد بن الحنفيّة عند خروجه من مكّة ـ فأبو عبد الله عليه السلام قد أوصى أخاه محمداً بن الحنفية، مرّتين: الأولى عند خروجه من المدينة، والثانية عند خروجه من مكّة، وأتصوّر أنّ هذه الوصيّة كانت عند خروجه من مكّة في شهر ذي الحجّة ـ فبعد الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي صلى الله عليه وآله و... يقول الإمام عليه السلام: «وإنّي ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت أريد الإصلاح في أمّة جدّي»[٣] أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح

---

(١) بحار الأنور: ج ٤٤، ص ٣٢٥.
(٢) نفس المصدر. (٣) نفس المصدر: ص ٣٢٩.

ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ذلك ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح. ثمّ يقول عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي»[١]. والإصلاح يتمّ عن هذا الطريق، وهو ما قلنا إنّه مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ عندما كان الإمام عليه السلام بمكّة، بعث بكتابين، الأوّل إلى رؤساء البصرة والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة: «وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهديكم إلى سبيل الرشاد»[٢]. أي يريد الإمام الحسين عليه السلام تأدية ذلك التكليف العظيم وهو إحياء الإسلام وسنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وجاء في كتابه إلى رؤساء الكوفة: «فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائر بالحقّ والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام»[٣] أي بيّن الإمام عليه السلام هدفه من الخروج، وكان الإمام عليه السلام يخاطب الناس في كلّ منزل ينزل فيه بعد خروجه من مكّة.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٢٤٠.
(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٥.

٤ ـ عندما [واجه الحسين (عليه السلام) جيش الحرّ] وسار بأصحابه في ناحية والحرّ ومن معه في ناحية حتّى بلغ «البيضة».

خاطب الإمام (عليه السلام) أصحاب الحر، فقال: «أيّها الناس إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[1]. فالنبي (صلى الله عليه وآله) بيّن ما يجب عمله إذا انحرف النظام الإسلامي، وقد استند الإمام الحسين (عليه السلام) إلى قول النبيّ (صلى الله عليه وآله) هذا.

إذن التكليف هو «يغيّر عليه بفعل أو قول»، فإن واجه الإنسانُ هذا الأمر وكان الظرف موات كما قلنا، وجب عليه أن يثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، يقتل، يبقى حيّاً، ينجح في الظاهر أو لا ينجح.

يجب على كلّ مسلم أن يثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف قال به النبي (صلى الله عليه وآله). ثمّ قال (عليه السلام): «وأنا أحقّ مَنْ غيّر» لأنّي سبط النبي (صلى الله عليه وآله)، فإن كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد أوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الأمر، كان سبط النبي (صلى الله عليه وآله) ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي (عليه السلام) أحقّ أن يثور، فإنّي خرجت لهذا الأمر. فيعلن عن سبب وهدف ثورته وهو لأجل (التغيير) أي الثورة ضدّ هذا الوضع السائد.

٥ ـ لمّا نزل بـ (الغريب) التحق به أربعة نفر، فقال لهم الإمام (عليه السلام): «أمّا والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قُتلنا أم ظفرنا»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢. (٢) مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف: ص ٨٧.

وهذا دليل على قولنا عندما قلنا لا فرق سواء أنتصر أو قتل، يجب أداء التكليف.

٦ ـ في أوّل خطبة له ﷺ عند نزوله بكربلاء، يقول ﷺ: «وقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون»[1] إلى أن يقول: «ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً...»[2] إلى آخر الخطبة.

الدرس العظيم لثورة الحسين ﷺ

إذن ثورة الإمام الحسين ﷺ كانت تأدية لواجب وهو عبارة عن وجوب الثورة على كلّ مسلم حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلامي بحيث يخاف من تغيير كلّي في أحكام الإسلام، وكانت الظروف مواتية، وعلم بأنّ لهذه الثورة نتيجة، وليس شرطاً البقاء حيّاً وعدم القتل وعدم التعرّض للتعذيب والأذى والمعاناة.

فالحسين ﷺ قد ثار وأدّى هذا الواجب عمليّاً ليكون درساً للجميع، وقد تتوفّر الظروف المناسبة لأي أحد للقيام بهذا العمل على مرّ التاريخ، طبعاً الظروف لم تكن مواتية في عصر سائر الأئمة ﷺ من بعد الإمام الحسين ﷺ، وهذا الأمر له تفسير وهو وجود أعمال مهمّة أخرى وجب القيام بها. فلم تتوفر هذه الظروف بعد ذلك في المجتمع الإسلامي إلى أواخر عصر الأئمة ﷺ وبداية عصر الغيبة،

(١ ـ ٢) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨١.

لكن قد تتوفّر مثل هذه الظروف في الدول الإسلاميّة على مرّ التاريخ، وقد تكون الأرضيّة في بعض أقطار العالم الإسلامي ـ الآن ـ مهيّئة لقيام المسلمين بذلك أيضاً. فإن قاموا بذلك، فقد صانوا الإسلام وضمنوا بقاءه، وقد يواجه واحد أو اثنان الفشل، لكن عندما يكثر هذا التغيير وهذه الثورة والحركة الإصلاحيّة، فثقوا باجتثاث جذور الفساد والإنحراف.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد علّم التاريخ الإسلامي درساً عمليّاً عظيماً، وضمن بقاء الإسلام في عصره وسائر الأعصار. فأينما وجد مثل هذا الفساد، كان الإمام الحسين عليه السلام حيّاً حاضراً هناك يعلّمنا بأسلوبه وفعله ما يجب علينا عمله. لهذا يجب أن يبقى إسم الحسين عليه السلام حيّاً وتبقى ذكرى كربلاء حيّة؛ لأنّ ذكرى كربلاء تجعل هذا الدرس العملي نصب أعيننا.

ومع الأسف إنّ درس عاشوراء ليس معروفاً في سائر الدول الإسلاميّة كما ينبغي. لقد كان معروفاً في بلدنا وكان الناس يعرفون الإمام الحسين عليه السلام وثورته، لقد كانت الروح الحسينيّة موجودة لهذا لم يتعجب الناس عندما قال الإمام رحمه الله إنّ محرّم هو شهر انتصار الدم على السيف، وهي الحقيقة، وانتصر الدم على السيف.

لقد قلت هذه المطالب في مجلس قبل الثورة، بـ ٢٥ عاماً تقريباً، قلت للإخوة والأخوات أن أيّها الأعزة، بأيّ لسان يقول الحسين عليه السلام ما هو تكليفكم؟ فالظروف هي تلك الظروف، والحياة

هي تلك الحياة، والإسلام هو ذلك الإسلام، والإمام الحسين عليه السلام قد بيّن عمليّاً وظيفة كلّ الأجيال، ولو لم تُنقل كلمة واحدة عن الإمام الحسين عليه السلام لوجب علينا أن نعرف تكليفنا. إنّ الشعب المكبّل بالقيود وفي مفاسد حكّامه، الشعب المتسلّط على رقابه والقابض على زمام أموره أعداء الدين، وجب عليه أن يدرك تكليفه، لأنّ سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام المعصوم قد علّمنا ما يجب علينا فعله في مثل هذه الظروف، ولم يمكن ذلك باللّسان، فلو قال ذلك بمائة لسان ولم يثر هو لما أمكن أن يمرّ هذا النداء عبر التاريخ، فالنصيحة والأقوال ليستا اللّتين تمرّان عبر التاريخ فقط، فهناك الآلاف من التعابير، بل يجب القيام بعمل عظيم وصعب كهذا وتضحية عظيمة وأليمة كالّتي قام بها الإمام الحسين عليه السلام. والحقيقة فإنّ ما هو أمام أعيننا من واقعة عاشوراء الّتي لا نظير ولا مثيل لها بين جميع الحوادث والفواجع البشريّة، وكما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأميرالمؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام ـ على ما ورد في الروايات ـ: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»[1].

هذا اليوم هو يوم عاشوراء وهذه أيّام بكاء ونعي. إنّ كربلاء كلّها عزاء ومصائب، وحوادث عاشوراء كلّها بكاء وألم، منذ نزول الحسين عليه السلام بأرض كربلاء، وخُطبه، أقواله، وأشعاره، وإخباره بقتله، مخاطبته لأخته زينب وإخوته وأعزّته، كلّها مصائب إلى ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١٨.

إنّنا نوصي الجميع بقراءة النعي من متن الكتب، وما ورد في كتاب «اللهوف» لابن طاووس.

إنّ عليّ بن طاووس من علماء الشيعة الأجلاّء في القرن السادس الهجري، وهو من عائلة علميّة ودينيّة صالحة، وبالخصوص الأخوين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، وأحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس، فهما من العلماء والمؤلّفين الكبار.

وهذا الكتاب [اللهوف] هو للسيّد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس.

سلام الله عليك يا أبا الثوّار يوم علّمتنا دروساً، إذ قلت في تلك المواقف الحاسمة:

«إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» وقلتَ: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ قرار العبيد»[1]، وقلتَ: «هيهات منّا الذلّة».

سلام الله عليك يوم وقفت وقفتك الكبرى وعلّمت الأمّة الإسلاميّة دروس العزّة والإباء والتضحية في سبيل الله. وسلام الله عليك يوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٧.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الّذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام، والسلام على كلّ الثائرين على طريق الحسين ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة الكوثر.

عِبَر من عاشوراء[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دروس عاشوراء

هذا اللقاء، لقاء مناسب جداً وفي وقت مناسب أيضاً، فهذه الأيام أيام عاشوراء الحسين عليه السلام وأنتم أيها الإخوة والأخوات عاشورائيون وحسينيون أيضاً، فإن جيش العشرين مليوناً أثبت أنه يسير على صراط الحسين عليه السلام وعاشوراء، والذي سأقدمه لكم اليوم يتعلق بقضية عاشوراء نفسها.

فمع وجود كل ما قيل بشأن واقعة عاشوراء وما قلناه نحن وسمعناه ولكن لا يزال هناك مجال للحديث والتأمل والتدبر والإعتبار بهذه الحادثة. فهذه الحادثة العظيمة يمكن التأمل فيها من جهتين والغالب البحث فيها من إحدى هاتين الجهتين واليوم أريد أن ألقي الضوء أكثر على الجهة الثانية.

الجهة الاولى هي دروس عاشوراء. فلعاشوراء بيانات ودروس. عاشوراء علمتنا أنه يجب أن نضحي لأجل الدين، علمتنا أنه يجب

---

(١) في ١٣/١/١٤١٣هـ. بحضور جمع من قوات التعبئة (طهران).

التغاضي عن كل شيء في سبيل القرآن، علمتنا أن جميع الأشخاص من صغير أو كبير ومن رجل أو امرأة ومن كهل أو شاب ومن شريف أو وضيع ومن إمام أو رعية يقفون صفاً واحداً في ميدان الصراع بين الحق والباطل. علمتنا أن جبهة العدو مع كل قدراتها الظاهرية فإنها تتصدع، كما تصدعت جبهة بني أمية بواسطة قافلة سبايا عاشوراء في الكوفة والشام والمدينة وأخيراً انجرَّ الأمر إلى انهيار الجبهة السفيانية بالثورة الحسينية.

تعلمنا عاشوراء أن البصيرة لازمة للإنسان في دفاعه عن الدين أكثر من أي شيء آخر، فإن عديمي البصيرة ينخدعون من دون علم ويقعون في جبهة الباطل كما كان هناك أشخاص في جبهة ابن زياد ولم يكونوا فساقاً ولا فجاراً بل عديمي بصائر، هذه هي دروس من عاشوراء، بالطبع فإن هذه الدروس تكفي لنقل أمة من الذلة إلى العزّ، هذه الدروس تستطيع أن تهزم جبهة الكفر والإستكبار، وهي دروس حياتية. هذه هي الجهة الأولى من قضية عاشوراء.

الجهة الثانية من الجهات المتعلقة بعاشوراء هي العبر المستفادة منها، فعاشوراء مضافاً إلى دروسها هي ساحة للعبر. فيجب أن ينظر الإنسان في هذه الساحة فيعتبر. ما معنى أخذ العبرة؟ معناه أن يقيس نفسه مع ذلك الوضع ويدرك أنه في أي وضع وحال. ما الذي يهدده؟ وما هي الأشياء التي تلزمه؟ هذه هي العبرة. فمثلاً عندما تعبر الشارع وترى سيارة مقلوبة أو مصطدمة بأخرى وقد تضررت

للغاية وقضي على ركابها فإنك تتوقف لترى ما هو السبب حتى تعتبر، وتعرف أية سرعة وأية قيادة تؤدي إلى هذا المصير. وهو نوع آخر من الدروس ولكنه درس عن طريق الإعتبار، والآن نريد أن نبحث هذا الأمر بدقة أكثر.

عِبَرُ عاشوراء

أول عبرة تلفت انتباهنا في قضية عاشوراء هي أن نلاحظ ماذا حدث بعد خمسين سنة من وفاة الرسول ﷺ بحيث وصل الحد إلى أن يضطر مثل الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يضحي بنفسه لأجل إنقاذ المجتمع الإسلامي، تارة تكون هذه التضحية بعد ألف عام من صدر الإسلام أو تكون في مركز الدول والشعوب المعاندة للإسلام والمعارضة له وهذا كلام آخر، ولكن الذي يجدر بالبحث والتأمل هو أن تكون هذه الثورة في مركز الإسلام وفي المدينة ومكة (مركز الوحي) وبواسطة الإمام الحسين بن علي عليه السلام بحيث لا يجد وسيلة غير التضحية بنفسه تضحية دموية عظيمة. إذن فأي وضع كان بحيث يشعر الحسين بن علي عليه السلام أن حياة الإسلام مرهونة بالتضحية بنفسه، وإلا سيفرّط بالإسلام؟ العبرة هنا، نحن يجب أن ننظر ونلاحظ الذي حدث حتى آل الأمر إلى أن يصبح شخص كيزيد حاكماً على المجتمع الإسلامي؟ المجتمع الإسلامي الذي كان النبي الحاكم في مكة والمدينة يعطي فيه الرايات بيد المسلمين فيذهبون إلى أقصى نقاط جزيرة العرب وحدود الشام ويهددون الإمبراطورية

الرومانية ويفرّ جنود العدو أمامهم كذلك ويرجع المسلمون مؤزرين بالنصر (كما حدث في تبوك) كيف أصبح هذا المجتمع الإسلامي الذي كان يعلو في مسجده وشوارعه صوت تلاوة القرآن ويقرأ فيه شخصية كالنبي ﷺ الآيات القرآنية بلحنه وأنفاسه ويعظ فيه الناس ويقودهم إلى الصراط القويم، ماذا حلّ بهذا المجتمع وهذا البلد وهذه المدن بحيث ابتعدوا عن الإسلام لدرجة أن يتأمر عليهم شخص كيزيد؟ لماذا يحلّ ظرف بحيث يكون فيه مثل الحسين بن علي عليه السلام مضطراً إلى هذه التضحية العظيمة والتي لا نظير لها في التاريخ. ما الذي حصل حتى وصلوا إلى هذه الحالة؟ هذه هي العبرة. يجب أن نبحث هذا الأمر بدقة.

نحن اليوم مجتمع إسلامي. ويجب أن نرى ما هي الآفة التي حلت بذلك المجتمع الإسلامي بحيث أوكل أمره إلى يزيد. ما الذي حصل؟ حتى آل الأمر إلى رفع رؤوس أولاد أمير المؤمنين عليه السلام على القنا وأن يطاف بها في المدينة التي كان يحكم فيها قبل عشرين سنة!

الكوفة هي نفس تلك المدينة التي كان أمير المؤمنين يتجول في أسواقها، ويحمل سَوطه على عاتقه ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وهناك كانت تعلو أصوات تلاوة القرآن في آناء الليل وأطراف النهار من المسجد. هذه هي المدينة التي يطاف الآن ببنات وحرم أمير المؤمنين عليه السلام أسارى في سوقها. ما الذي حدث حتى وصل الحال إلى هنا بعد عشرين عاماً؟ الجواب هو وجود مرض في

المجتمع لـه القدرة على أن يوصل خلال بضع عقود مجتمعات كـان يترأسها أمثال الرسول الأكـرم ﷺ وأميـر المـؤمنين عليه السلام إلـى هـذا الوضع المأساوي. إذن فهذا مرض خطير يجب أن نكون على حـذر منه. فعندما كان إمامنا العزيز يعد نفسه تلميذاً مـن تلامـذة الرسـول الأكرم ﷺ فإنه كان يفتخر بذلك. لقد كان الإمام يفتخـر بأنـه قـادر على إدراك أحكام النبي ﷺ أبتلي بعد عدة سنوات بذلك الوضـع. ولذا يجب أن يحذر مجتمعنا من الإبتلاء بهذا المرض. العبرة هاهنـا. يجب أن نحدد هذا المرض ونعتبره خطراً جدياً ونتجنب عنه. وفـي نظري فإن نداء عاشوراء هذا أشد فورية لنا اليـوم مـن سـائر دروس ونداءات عاشوراء. يجب أن ندرك أيّ بلاء حلّ على المجتمع بحيث يطاف برأس الحسين بن علي عليه السلام السبط الأول في العالم الإسـلامي وابن خليفة المسلمين علي ابن أبي طالب عليه السلام في نفس المدينة التي كان يتربع والده على منبر الخلافة فيها ومن دون أن يتحـرك سـاكن يجب أن نفهم كيف جاء أشخاص مـن تلـك المدينـة إلـى كـربلاء ليقتلوه هو وأصحابه عطاشى ويسبوا حرم أمير المؤمنين عليه السلام. الكـلام كثير في هذا المجال. ولكنني أشير إلى آية قرآنية في مقـام الجـواب عن هذه التساؤلات. لقد أعطى القرآن الجواب وحدده للمسلمين في آفتين ومرضين. وهذه هـي الآيـة: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

إذن هناك عاملان هما أساس للضلالة والإنحراف العام، أحدهما الإبتعاد عن ذكر الله والذي يتجلى في الصلاة والعبادة، والذي يعني الغفلة عن الله والمعنويات وفصل الحياة عن المعايير المعنوية، إهمال التوجه إلى الله تعالى والذكر والدعاء والتوسل وطلب التوفيق منه، والتوكل عليه وفصل الحسابات الإلهية عن الحياة، والعامل الآخر هو إتباع الشهوات والملذات وبعبارة واحدة السعي وراء الدنيا والإشتغال بجمع الثروة والمال والوقوع فريسة للشهوات الدنيوية واعتبارها أساساً ومبدأً ونسيان الأهداف الحقيقية.

هذا مرض رئيسي وخطير ويمكن أن نبتلي نحن به أيضاً. فلو أن الحالة المبدئية تزول أو تضعف عندنا، وكل منا يفكر بأن ينتزع حصته من الغنيمة حتى لا نتخلف في دنيانا عن الآخرين، ويقول في نفسه أن الآخرين قد جمعوا لأنفسهم ويجب أن نذهب نحن أيضاً لنجمع لأنفسنا ونضع مصالحنا فوق مصالح المجتمع. فمن المعلوم حينئذٍ أن يصل بنا الحال إلى ذلك الوضع. فسرّ وجود النظام الإسلامي وبقاءه وتطوره هو الإيمان والهمم العالية والإهتمام بالمبادئ وإحياءها. ومعلوم أن توهين الأهداف واللامبالاة في أصول الإسلام والثورة وفهم كل الأمور والتعامل معها بذهنية مادية سوف يصل بالمجتمع إلى تلك الوضعية.

ولهذا السبب ابتلي بها أولئك الناس، ففي وقت كان المسلمون يهتمون بتطوير الإسلام ورضا الله وتعليم الدين والمعارف الإسلامية

والإطلاع على القرآن والأنس بمعارفه، وكان الجهاز الحكومي والإداري للبلاد جهازاً زاهداً في الدنيا، نقياً، لا يعير أهمية لزخارف الدنيا والشهوات الشخصية، فكانت النتيجة حينذاك تلك الحركة العظيمة التي توجه الناس فيها إلى ربهم. في تلك الوضعية يبرز مثل علي ابن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين ومثل الحسين بن علي عليه السلام شخصية مرموقة. والسبب هو أن تلك المعايير تتجسد فيهم أكثر من غيرهم. عندما يكون المعيار هو الله والتقوى والإعراض عن الدنيا والجهاد في سبيل الله، فإن الذي يتواجد في الساحة حينئذ هم الأفراد الواجدون لهذه المعايير. هؤلاء هم الذين يأخذون مقاليد الأمور بأيديهم ويصبح المجتمع مجتمعاً إسلامياً. ولكن عندما تتبدل المعايير الإلهية فسوف يستلم الأمور كل مَنْ هو أحرص على الدنيا وأشد في إتباع الشهوة وتحصيل المنافع الشخصية وأبعد عن الصدق والحقيقة، حينذاك تكون النتيجة صيرورة أمثال عمر بن سعد والشمر وعبيد الله بن زياد أمراء، وذهاب أمثال الحسين بن علي عليه السلام إلى المذبح واستشهاده في كربلاء وهذه قضية منطقية فـ (٢+٢=٤).

لا ينبغي أن يسمح الأشخاص الحريصون بتبدل المعايير في المجتمع. فلو أبدل معيار التقوى في المجتمع فمما لا شك فيه أن يراق دم إنسان تقي كالإمام الحسين بن علي عليه السلام. ولو أن الدهاء والإنغماس في الشؤون الدنيوية والإيقاع بالآخرين والدجل وعدم الإهتمام بالقيم الإسلامية، اعتبرت ملاكاً في الأفضلية، فإن شخصاً

كيزيد يجب أن يكون على رأس السلطة ويجب أن يصبح شخص مثل عبيد الله الرجل الأول في العراق. لقد كان همّ الإسلام هو تغيير هذه المقاييس وكل همّ ثورتنا كان الوقوف بوجه هذه المقاييس المادية العالمية الباطلة والخاطئة وتغييرها.

الثورة الإسلامية تعني إحياء الإسلام من جديد

عالَم اليوم هو عالَم الدجل والقوة وإتباع الشهوات وعالَم تفضيل القيم المادية على القيم المعنوية. هكذا هي الدنيا ولا يختص الأمر بأيامنا هذه. فلقرون متمادية كانت المعنويات تتجه نحو الضعف والأفول. لقد سعى المستكبرون لمحو المعنوية. أصحاب القدرة وعبدة المال والأثرياء نسجوا نظاماً وبساطاً مادياً ترأسه قوة عظمى كأمريكا أكثر الجميع دجلاً ومكراً وأقلهم رعاية للفضائل الإنسانية ورحمة بالبشرية.

هكذا قدرة في الرأس ويليها أصدقاؤها على الترتيب هذا هو وضع الدنيا. الثورة الإسلامية تعني بعث الإسلام من جديد وإحياء مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] والثورة جاءت لتحطيم هذا الترتيب العالمي الخاطئ وتنشيء مكانه ترتيباً جديداً. لو كان الترتيب العالمي ترتيباً مادياً فلا ريب في مجيء أفراد فاسدين، أتباع شهوات، ضالين وأشقياء مثل محمد رضا على رأس الأمور، وحينئذ ينبغي أن

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

يكون شخص فاضل ومُتنوّر مثل الإمام في السجن أو المنفى. فليس للإمام مكان في مجتمع بهذا الوضع. عندما تسود القوة والفساد والكذب والرذيلة فإن إنساناً فاضلاً وصادقاً ونيراً وعارفاً ومتوجهاً إلى الله إما أن يكون في السجون أو في المقاصل والمجازر. وعندما يترأس الأمور شخص كالإمام فمعنى ذلك قلب الأوراق، وانزواء أتباع الشهوات وحب الدنيا والتعلق بها والفساد، ومعناه عودة التقوى والزهد والصفاء والنورانية والجهاد والحرص على الناس والرحمة والمرؤة والأخوة والإيثار والصفح عن الآخرين.

عندما يحكم الإمام فإن هذه الخصال والفضائل سوف تسود في المجتمع، وهذه القيم هي التي سوف تطرح للناس. إذا حافظتم على هذه القيم فسوف يبقى نظام الإمامة، وحينئذٍ لن يؤتى بأمثال الحسين بن علي عليه السلام إلى المذبحة.

ولكن كيف إذا تخلينا عن هذه الأمور؟ كيف إذا فقدنا الروحية؟ وكيف إذا انشغلنا بأمور الرفاهية الشخصية بدلاً من التوجه إلى الوظيفة والتكليف والهدف الإلهي؟ كيف إذا أجبرنا الشاب (التعبوي) المؤمن والمخلص على الإنزواء وهو لا يريد منا سوى تهيئة ساحة يجاهد بها في سبيل الله، وسلّطنا على الأُمور أفراداً ذوي وقاحة وجشع، وطمّاعين خبثاء؟ في هذه الحالة سيتبدل كل شيء.

فلو كانت الفترة الفاصلة بين رحلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وشهادة فلذة كبده في صدر الإسلام خمسين سنة فمن الممكن أن تكون هذه

الفترة أقصر بكثير في زماننا هذا، وترتقي الفضائل وأصحاب الفضيلة على المقاصل بسرعة أكبر. يجب أن لا نسمح بوقوع أمر كهذا. يجب أن نواجه الإنحراف الذي يمكن أن يفرضه أعداؤنا علينا. هذا هو الإعتبار من عاشوراء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخواص ودورهم في قتل الحسين (عليه السلام)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم سدد ألسنتنا بالصواب والحكمة

إحدى الظواهر البارزة في الثقافة الإسلامية ـ ولها مصاديق بارزة وكثيرة في تاريخ صدر الإسلام وأقل منها على مَر الفترة ـ هي ثقافة القتال والجهاد. والجهاد طبعاً لا ينحصر في نطاق القتال في ميادين الحرب؛ فكل ما ينطوي على جد واجتهاد ومجابهة مع العدو يسمى جهاداً.

التفتوا جيداً؛ فلعل البعض يؤدي عملاً ويتحمل فيه مشقّة كبيرة، ويدّعي الجهاد. كلا؛ فأحد شروط الجهاد أن يكون في مجابهة العدو. ولكن قد يكون تارة في ميدان الحرب فيسمى بالجهاد الحربي، وقد يكون تارة في ميدان السياسة فيكون جهاداً سياسياً، وقد يكون في الميدان الثقافي فيسمى جهاداً ثقافياً، وقد يكون في مجال البناء فيسمى بجهاد البناء، كما أن له ميادين ومجالات أُخرى طبعاً. والشرط الأول فيه أن يبذل فيه جهد ومثابرة، وشرطه الثاني أن يكون في مواجهة العدو.

هذه ظاهرة بارزة في الثقافة الإسلامية ولها أمثلة في شتّى الميادين.

---

(١) في ١٤١٧/١/٢٢هـ بحضور جمع من قادة فرقة محمد رسول الله (طهران).

واليوم أيضاً بدأ هذا الجهاد منذ أن انطلق نداء مجابهة النظام البهلوي المقيت، من حنجرة الإمام (رضوان الله عليه) وأنصاره آنذاك، أي في عام ١٣٤١ [هـ ش] ١٩٦٢م.

وكان حتى قبل هذا التاريخ ولكن بصورة متناثرة ونادرة وقليلة الأهمية.

منذ أن بدأت هذه المجابهة اتخذت طابعاً أكثر أهمية إلى أن تكللت بانتصار هذا الجهاد الذي تجسد بانتصار الثورة. ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا كان في هذا البلد جهاد دائم.

وبما أن لنا أعداءً، وأعداؤنا أقوياء في الجانب المادي، وبما أن الأعداء قد أحاطوا بنا من كل جانب، وهم بصدد العدوان علينا، وقضية العدوان على إيران لا يمزحون فيها؛ لأنهم يستهدفون ضربها بأي نحو ممكن، إذن فكل من يقف في إيران الإسلامية بوجه هذا العدو ـ الذي سدد من كل جانب سهامه السامة إلى جسد هذه الثورة وهذا البلد الإسلامي ـ فهو مجاهد في سبيل الله. ونحمد الله على أن شعلة الجهاد كانت ولا زالت وستبقى مضيئة.

وبطبيعة الحال إن أحد أنواع هذا الجهاد هو الجهاد الفكري. أي بما أن العدو قد يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات، فكل من يبذل جهده على طريق توعية الناس، ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فعمله هذا جهاد؛ إذ هو في سبيل مجابهة العدو، ولعلّه من الجهاد المهم.

إذن يا أعزائي! بلدنا اليوم مركز الجهاد، وليس لدينا ما يستوجب القلق في هذا المجال. الحمد للّه إن الشخصيات المسؤولة في البلد كلها شخصيات صالحة ومؤمنة ومجاهدة وواعية ومخلصة. عليكم أن تلتفتوا لهذه الجوانب، فرئيس الجمهورية سماحة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني رجل قضى عمره في الجهاد ولازال حتى الآن يجاهد ليلاً ونهاراً، وكذلك الحال بالنسبة لمسؤولي المحافل الأخرى كمجلس الشورى الإسلامي، والسلطة القضائية، والقوات المسلحة، وكذا سائر أبناء الشعب، كلهم في حالة جهاد دائم.

هذه الدولة هي دولة الجهاد في سبيل الله، ومن هنا فإنّ ثقل جهدي، في المراقبة لأرى المواضع التي تخبو فيها شعلة الجهاد فأسارع بعون الله ولا أدعها تنطفئ، وأرى مواضع الخطأ والزلل فأتصدى لها، وهذه هي مسؤوليتي الأساسية. إنني لا يساورني أي قلق حول حالة الجهاد الحالية في البلد، وهذا ما يجب أن تعلموه. إلاّ أن في القرآن شيئاً يرغمنا على التفكير فيه، وهو أنه أمرنا أن ننظر إلى الماضي ونأخذ العبر من التاريخ.

ولكن قد يأتي البعض ويتفلسف بأن الماضي لا يمكن أن يكون مثالاً للحاضر. هذه الآراء يثيرها البعض ويتصور أنه قادر على صياغتها كأطروحة فلسفية، لكنه لا يستطيع ذلك! ولا شأن لنا بأمثال هؤلاء.

القرآن صادق مصدّق وهو يدعونا إلى استقاء العبرة من التاريخ.

والإعتبار بالتاريخ يعني حالة القلق التي عرضت لها آنفاً، لأن التاريخ تكتنفه أُمور لو أردنا الإعتبار بها لساورتنا بعض الهواجس، وهذه الهواجس ذات صلة بالمستقبل، ولكن لماذا؟ وما سبب هذه الهواجس؟ وما الذي جرى عبر التاريخ؟

الواقعة التي حدثت كانت في صدر الإسلام. وقد ذكرت في وقت ما أن الأُمة الإسلامية حريّ بها أن تفكر في السبب الذي وصل بالبلاد الإسلامية بعد وفاة الرسول بخمسين سنة فقط إلى أن يجتمع أبناؤها من وزير وأمير وقائد وعالم وقاضي وقارئ للقرآن في الكوفة وكربلاء، ويمزقوا كبد رسول الله ﷺ بتلك الطريقة الفجيعة.

على الإنسان أن يطيل النظر في الأسباب التي انتهت إلى تلك الحالة. وقد سبق لي وأن تحدثت فيما سبق في هذا الموضوع قبل سنتين أو ثلاث تحت عنوان (عبر عاشوراء) طبعاً هذا شيء آخر يختلف عن موضوع (دروس من عاشوراء) كدرس الشجاعة، ودرس الإيثار وما إلى ذلك. والشيء الأهم من دروس عاشوراء هو العبر المستقاة من عاشوراء.

سبق لي وأن ذكرت أن الأُمور وصلت إلى الحد الذي جعلهم يأتون بحرم الرسول إلى الشوارع والأسواق أمام أنظار الناس ويصمونهم بصمة الخوارج. والخوارج في الإسلام مصطلح يطلق على من يخرج على الإمام العادل ويشق عليه عصا الطاعة، ويستحق لعنة الله ورسوله والمؤمنين، هذا هو معنى الخوارج. ولهذا السبب

كان المسلمون آنذاك يتنفّرون من الخوارج «من خرج على إمام عادل فدمه هدر»، هذا مع أن الإسلام يولي أهمية فائقة لدماء الناس.

لقد أشاعوا أن سبط رسول الله، ابنَ فاطمة وابن أميرالمؤمنين، خارج على الإمام العادل ـ وذلك الإمام العادل هو يزيد بن معاوية ـ وصدّقهم الناس!!

إن أفراد السلطة الحاكمة أُناس ظلمة يقولون ما يحلو لهم، ولكن لماذا يصدّقهم الناس؟ ولماذا يلتزمون الصمت إزاءهم؟ إن ما يثير هواجسي هو هذا الجانب من القضية، لماذا وصلت الأُمور إلى هذا الحد؟ ولماذا أصيبت الأمة الإسلامية وهي على تلك الدرجة من التدقيق في تفاصيل الأحكام الإسلامية والآيات القرآنية، لماذا أصيبت بهذه الحالة من الغفلة والتهاون والتراخي الذي انتهى إلى بروز فاجعة كهذه؟ هذه المسألة تشغل فكر الإنسان. وهل نحن أقوى عزماً وأشد شكيمة من مجتمع عهد الرسول وعهد أمير المؤمنين؟ وماذا نفعل حتى لا يجري مثلما جرى؟

طبعاً السؤال الذي أثرته حول تلك الأسباب، لم يجب عليه أحد، ولكن جوابه عندي. وأُشير إلى أن أحداً لم يتحدث في هذا الموضوع؛ أو أنهم قد تحدثوا حوله ولكن ليس بالشكل الوافي والكافي.

أود اليوم التحدث بإيجاز في هذا المجال، وحديثي سيكون مقتضباً بالنسبة لأصل القضية، سأثير رؤوس المواضيع أمام أفكاركم

لتخوضوا فيها بأنفسكم وليتقصى جذورها المفكرون والباحثون، وليفكروا في السبل الكفيلة بالحيلولة دون تكرارها.

إذا لم نقف أنا وأنتم بوجهها اليوم، فلا تعجبوا إذا رأيتم مجتمعنا الإسلامي وصل إلى تلك الحالة، ربما بعد خمسين سنة أو بعد خمس سنوات أو بعد عشر سنوات، إلاّ إذا كانت هناك أبصار حادّة تسبر أغوار الأمور، وعين أمينة تدل على الطريق، وأصحاب فكر يوجهون الأمور، وإرادة صلبة تساند هذا المسار، ليتكون عند ذاك ساتر متين وقلعة حصينة لا يستطيع أحد اختراقها، وإلاّ فستتكرر الحالة ذاتها فيما إذا أهملنا، وعندها ستذهب كل هذه الدماء هدراً.

بلغت الأمور في ذلك العهد حداً تربع فيه أبناء وأحفاد من قُتلوا يوم بدر على يد أميرالمؤمنين وحمزة وبقية قادة الإسلام، في مكان الرسول، ووضع أمامه رأس مهجة رسول الله، وصار يضرب على ثناياه بعود من الخيزران وينشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

هنا يأمر القرآن بالإعتبار ويقول: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ﴾[1] أنظروا ما الذي وقع، والتزموا جانب الحذر. ولأجل أن يسري هذا المعنى إن شاء الله في الثقافة الحالية لبلدنا على يد المفكرين والباحثين وأصحاب الرأي، أتحدث إليكم اليوم باقتضاب عن هذا الموضوع.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١.

لاحظوا يا أعزائي! إذا نظرتم إلىٰ المجتمع البشري؛ أي مجتمع كان، وفي أية مدينة أو بلد، تجدون الناس فيه يُقسمون ـ من وجهة نظر معينة ـ إلى فئتين:

فئة تسير عن فكر وفهم ووعي وإرادة، وهي تعرف طريقها وتسلكه ـ ولا يهمنا في المقام أن هذه الفئة على صواب في مسلكها أو أنه مسلك خاطئ ـ هذه الفئة يمكن تسميتها بالخواص.

وفئة أُخرى لا تنظر لترى ما هو الطريق الصحيح، وما هو الموقف الصائب، ولا يهمّها أن تفهم وتحلّل وتقيس وتدرك، بل تتبع الجو السائد والهوى العام، ولنُسَمٍّ هذه الفئة بالعوام، إذن فالمجتمع يمكن تصنيفه إلى خواص وعوام. دققوا النظر، أريد الإشارة إلى نقطة بشأن العوام والخواص ويجب أن لا يقع فيها أي التباس.

من هم الخواص؟ هل هم طبقة خاصّة؟ كلا لأن هذه الفئة التي نسمّيها بالخواص تضم بين أفرادها أشخاصاً متعلمين وآخرين غير متعلمين، فقد يكون أحياناً بين الخواص شخص غير متعلم لكنه يفهم ما ينبغي عليه فعله، وهو يعمل وفقاً لتخطيط وإرادة حتى وإن لم يكن قد دخل المدرسة أو لديه شهادة أو يرتدي زي العلماء، لكنه متفهم لحقيقة الأُمور.

في أيام اندلاع الثورة ـ وقبل انتصارها ـ كنت في المنفى في مدينة (إيرانشهر) وكان في إحدى المدن القريبة منها عدّة أشخاص من بينهم سائق، كان هؤلاء الأشخاص من ذوي الثقافة والمعرفة،

رغم أنهم يصنّفون ظاهرياً في عداد العوام، إلاّ أنهم في الحقيقة كانوا من الخواص؛ كانوا يأتون للقائنا في إيرانشهر بشكل منتظم، وينقلون لي حوارهم مع عالم الدين في مدينتهم، وقد كان الآخر رجلاً طيّباً إلاّ أنه كان من العوام!

لاحظوا، سائق الشاحنة من الخواص، بينما ذلك العالم المبجّل إمام الجماعة كان من العوام! كان العالم يقول: لماذا حينما يذكر اسم النبي تصلّون عليه مرّة واحدة، في حين إذا ذكر اسم السيد الخميني تصلّون على النبي ثلاث مرّات؟ ألا تفهمون؟! فكان السائق يرد عليه بالقول: يوم نفرغ من المجابهة، يوم يكون الإسلام قد ساد كل الأرجاء، وإذا انتصرت الثورة فإنا سنترك الصلاة عند ذكر اسم الخميني، ثلاث مرّات، بل لا نصلي ولا مرّة واحدة؛ هذه الصلوات الثلاثة أسلوب من أساليب المجابهة. لاحظوا إن هذا الرجل يفهم مع أنه سائق، لكن ذلك العالم لا يفهم.

ذكرت هذا المثال لتعلموا أننا حينما نقول الخواص، فلا يعني ذلك أنهم فئة ترتدي زيّاً بعينه؛ فقد يكون رجلاً وقد يكون امرأة، وقد يكون ثرياً وقد يكون فقيراً،وقد يكون من العاملين في الأجهزة الحكومية وقد يكون من المعارضين لأجهزة الحكومة الطاغوتية. وكلمة الخواص نقصد بها طبعاً الصالح والطالح منهم، ثم إننا سنصنّف الخواص إلى أقسام أُخرى أيضاً.

الخواص هم الذين عندما يؤدون عملاً يتخذون موقفاً، والنهج الذي

يختارونه، يختارونه عن فكر وتحليل، أي إنهم يفهمون ويقررون ويعملون. هؤلاء هم الخواص. والذين يقفون في الجانب المقابل لهم هم العوام.

العوام هم الذين يسيرون مع مسير الماء، ليس لديهم تحليل للمواقف، حينما يشاهدون الناس يهتفون (يعيش) يهتفون معهم، وحينما يهتف الناس (الموت لـ...) يرددون نفس الهتاف. عندما تكون الأجواء في وضع معين يأتون هنا، وحينما تكون على منوال آخر يذهبون هناك!

نفترض أن مسلم بن عقيل دخل الكوفة، تراهم يقولون: لقد وفد ابن عم الإمام الحسين، لقد جاء مبعوث بني هاشم، وهو عازم على الثورة والنهوض، فيُستثارون ويلتفون حوله ويبايعونه؛ بايعه ثمانية عشر ألفاً. وبعد خمس أو ست ساعات دخل رؤساء القبائل إلى الكوفة وقالوا للناس: لماذا اتخذتم هذا الموقف؟ عمّن تريدون الدفاع؟ وضد من؟ إنكم ستدفعون الثمن غالياً! انسحب أولاً زعماء القبائل كل إلى داره. وبعدما حاصر جنود ابن زياد دار طوعة للقبض على مسلم، انبرى أولئك الناس أنفسهم لمحاربة مسلم! هؤلاء هم العوام. سلوكهم لا ينطلق عن تفكير، ولا ينبثق عن تشخيص، ولا هو قائم على تحليل صائب، بل يتحركون وفقاً لما يمليه الجو العام.

إذن في كل مجتمع هناك خواص وهناك عوام. لنترك قضية العوام جانباً، ونبحث في وضع الخواص.

ويُقسم الخواص طبعاً إلى فريقين: خواص فريق الحق، وخواص فريق الباطل، أليس كذلك؟ أهل الثقافة والفكر والمعرفة منهم يعملون لصالح جبهة الحق. عرفوا الحق، وعلموا أن الحق مع هذا الجانب فهم يتحركون ويعملون لأجله، إذن فهم يعرفون الحق، وقادرون على تشخيصه، هؤلاء يمثلون فريقاً. أمّا الفريق الآخر فهم الذين يقفون على الطرف الضد لطرف الحق.

وإذا ماعدنا إلى صدر الإسلام ثانية؛ فهناك فريق أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسين وبني هاشم. وفريق آخر هم أصحاب معاوية، كان فيهم من الخواص، كان فيهم أشخاص أذكياء من ذوي الرأي والتدبير يناصرون بني أمية، وهؤلاء من الخواص أيضاً.

إذن خواص كل مجتمع على نمطين: الخواص من أنصار الحق، والخواص من أنصار الباطل. وماذا ترجون من الخواص المشايعين للباطل؟ لا تتوقعوا منهم سوى التآمر ضد الحق وضدكم. وهذا ما يفرض عليكم محاربتهم؛ حاربوا الخواص من أنصار الباطل، هذا أمر لا نقاش فيه.

نأتي الآن إلى الخواص من أنصار الحق، وأنا أتحدث إليكم الآن، أنظروا إلى أنفسكم لتروا في أي موضع أنتم. وحينما نقول أن الأصل هو الفكر والإتباع عن رؤية لا نخلط بين التاريخ والقصّة، التاريخ وجه آخر لسيرتنا الذاتية.

التاريخ معناه أنا وأنتم، معناه نحن الموجودون اليوم هنا. وإذا كنا

نحن الذين نقوّم ونشرح التاريخ، فلابدّ أن ينظر كلّ منا محله من هذه القصّة، وفي أي موضع منها. ثم لنرى ما الذي فعله من كان يومذاك في مثل موضعنا حتى كان نصيبه الخسران، لخطئه؟ حتى لا نقع في الخطأ نفسه. مثل ما هو متعارف في دروس التعليم العسكري، يفرض جهة معادية، والأخرى جهتنا، ثمّ يلاحظ خطأ خطة جهتنا. وتجدون أن العقل الذي وضع الخطّة قد أخطأ في هذا المكان، إذن حينما تريدون أنتم وضع الخطّة يجب أن لا تقعوا في ذلك الخطأ نفسه. أو يفرض أن الخطة كانت صحيحة إلا أن الآمر أو المخابر أو المدفعي أو المراسل أو جندياً عادياً في جبهتنا ارتكب خطأ، تدركون أنتم وجوب عدم الوقوع في ذلك الخطأ. هكذا هي مسيرة التاريخ. والآن عليكم العثور على ذاتكم في هذا المشهد الذي أتحدث عنه في صدر الإسلام.

بعض الناس من طبقة العوام، ولا قدرة لهم على اتخاذ القرار، وأمرهم منوط بالفرصة المتاحة أمام العوام، فإذا صادف أن كانوا في زمن يتصدى لزمام الأمور إمام ـ كالإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام)، أو كالإمام الراحل (رحمه الله) ـ ويسير بهم نحو الجنّة، فخير على خير. وأمثال هؤلاء يسوقهم الصالحون، وينتهي بهم الأمر إن شاء الله إلى الجنّة. أما إذا صادف وعاشوا في زمن من يصفهم القرآن بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[1] أو ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا

(١) سورة القصص، الآية: ٤١.

﴿قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[(١)]، يكون مصيرهم إلى النار.

إذن احذروا أن تكونوا من العوام، ولا نقصد بكلامنا هذا وجوب إكمال مراحل دراسية متقدمة، أبداً، وقد قلت أن معنى العوام ليس هذا؛ فما أكثر الذين أنهوا مراحل دراسية عليا، لكنهم يُحسبون في عداد العوام، وما أكثر من درسوا العلوم الدينية وهم من العوام، وما أكثر الفقراء أو الأغنياء الذين يدخلون في عداد العوام. إن صفة العوام رهن إرادتي وإرادتكم، ولهذا علينا أن ننتبه ولا نكون من العوام، أي يجب أن يكون كل فعل نفعله، عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام، ولهذا ورد في القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[(٢)].

إذن أنظروا أولاً هل أنتم من فئة العوام أم لا؟ فإذا كنتم من تلك الفئة فسارعوا إلى الخروج منها، حاولوا أن تكون لكم قدرة على التحليل والدراية والمعرفة.

أمّا إذا كنا في عداد الخواص، فلنرى هل نحن من خواص أنصار الحق أم من خواص أنصار الباطل؟ والمسألة هنا واضحة؛ فالخواص في مجتمعنا من أنصار الحق بلا ريب، لأنهم يدعون الناس إلى القرآن وإلى السنة وإلى العترة وإلى سبيل الله، وإلى القيم

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٢٨ و٢٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

الإسلامية، هذه هي طبيعة الجمهورية الإسلامية. إذن فلا نتحدث الآن عن الخواص من أنصار الباطل ولا شأن لنا بهم حالياً، بل تمام الكلام في الخواص من أنصار الحق، والمشكلة كلها تبدء من هنا.

إعلموا يا أعزائي أن خواص أنصار الحق يُقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول هم الذين يتغلبون في الصراع مع مغريات الدنيا والحياة من الجاه والشهوة والمال واللذة والرفاه والسمعة. والفريق الآخر هم الذين يخفقون في هذا الصراع. هذه ـ أي اللذة والسمعة والجاه وما شابه ـ كلها أمور حسنة، وكلها من مباهج الدنيا «متاع الحياة الدنيا». والقرآن حينما يصفها بأنها متاع الحياة الدنيا فلا يعني ذلك أنها قبيحة، فالمتاع جعله الله ليتمتّع به الإنسان؛ ولكن إذا انغمس فيها إلى الحد الذي يعجز معه عن اجتنابها فيما إذا استدعت التكاليف الصعبة منه ذلك، فهذا شيء، وإذا استمتع فيها إلى الحد الذي يستطيع معه الكف عنها بكل سهولة عند حصول أي امتحان عسير، فهذا شيء آخر.

هذه الأُمور تستدعي إعمال النظر فيها، وتستلزم الدراسة والدقّة؛ لأن أفراد المجتمع، والنظام، والثورة لا يمكن ضمان مستقبلهم اعتباطاً، فكل مجتمع يوجد فيه هذان النمطان من أنصار الحق. إذا كان الفريق الصالح منهما، أي الذين يستطيعون عند الحاجة الإنتهاء عن متاع الدنيا، هم الأكثر، فلن يقع المجتمع بما وقع فيه على عهد الإمام الحسين عليه السلام، وكونوا على ثقة أن المستقبل سيكون مضموناً إلى الأبد.

أما إذا كانوا قلّة، وكان ذلك الفريق من الخواص، أي المناصرين للحق ولكن في الوقت نفسه تنهار معنوياتهم أمام المغريات الدنيوية، بما فيها من ثروة، ودار وشهرة ومنصب وجاه، والذين يعرضون عن سبيل الله لأجل أنفسهم، فيلتزمون الصمت حيثما يجب قول الحق، حفاظاً على أرواحهم أو مناصبهم أو أعمالهم أو ثرواتهم أو لحب الأولاد والأسرة والأقارب والأصدقاء، هؤلاء إذا كانوا هم الكثرة، فالويل الويل حينئذٍ، عندها ينزل السائرون على خطى الحسين إلى أرض الشهادة ويقادون إلى مسالخ الذبح، ويتسلط أتباع يزيد على مقاليد الأُمور، وسيحكم بنو أمية الدولة التي أسسها رسول الله ﷺ ويطول حكمهم ألف شهر، وتتحول الإمامة إلى ملك وسلطان!

المجتمع الإسلامي مجتمع الإمامة، أي يكون الإمام فيه على رأس السلطة وهو الشخص الذي يكون بيده زمام الأُمور، والناس ينقادون له إنقياداً قلبياً نابعاً من الإيمان. أما السلطان فهو على خلاف ذلك؛ يحكم الناس بالقهر والغلبة، والناس لا يعتقدون به ولا يقبلون حكمه ولا يميلون إليه، والمقصود من الناس هنا ذوو الفهم والوعي.

لقد بدّل بنو أمية الإمامة في الإسلام إلى سلطنة وملكية، وحكموا هذه الدولة الإسلامية الكبرى ألف شهر أي تسعين سنة. حينذاك وضعت أُسس بناء هش انتهى إلى الثورة ضد بني أُمية الذين انقرضوا وجاء من بعدهم بنو العباس، وحكموا العالم الإسلامي ستة قرون أي ستمائة سنة على أساس أنهم خلفاء الرسول!

بنو العباس الذين كان خلفاؤهم أو بتعبير أدق ملوكهم يمارسون الفساد والفسق وشرب الخمور والفجور والفحشاء والخبائث وجمع الثروات واللهو والملذات وآلاف أنواع المفاسد الأخرى، كانوا يحضرون المساجد أيضاً ـ كما هو حال سائر الملوك في العالم ـ ويأمّون الناس في الصلاة. وكان الناس يصلون خلفهم اضطراراً ـ وإن لم يبلغ اضطرارهم ذلك الحد ـ أو من باب الإعتقاد المغلوط، وهو ما أدى بالنتيجة إلى تخريب معتقدات الناس!

إذا أصبح الخواص المناصرون للحق في مجتمع ما ـ كلهم أو أكثرهم ـ يخافون على حياتهم وعلى فقدان الأموال والمناصب والجاه والمكانة الإجتماعية ويخشون العزلة، بسبب تعلقهم بالدنيا، حينذاك لا يناصرون الحق ولا يضحّون بأنفسهم. وحينما تصير الأُمور إلى هذا الحال، حينئذ يقع في طليعة الأُمور استشهاد الإمام الحسين بتلك الصورة المأساوية، ويكون آخرها تسلط بني أُمية والعصابة المروانية ومن بعدهم بنو العباس، ثم سلسلة السلاطين الذين حكموا العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

أنظروا اليوم إلى العالم الإسلامي، وإلى مختلف البلدان الإسلامية، أنظروا إلى محل بيت الله والمدينة المنورة ولاحظوا من يحكمهما من فسّاق وفجّار، وهكذا في بقية الأماكن. ومن هنا تقولون في زيارة عاشوراء: «اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمّد وآل محمّد»، وهذه هي الحقيقة.

حسناً، اقتربنا شيئاً من تحليل واقعة عاشوراء ذات العبر الكثيـرة، وبعدما سمعتم هذه المقدّمة ننتقل إلى التاريخ.

بدأ انزلاق الخواص المؤيدين للحق بعد وفاة الرسول بـست أو سبع أو ثمان سنوات، وحديثي هنا مع غض النظر عن مسألة الخلافة تماماً، قضية الخلافة على حدة، بل أتحـدث الآن حـول هـذا الـنهج بسبب ما يتصف به من خطورة. القضايا بأجمعها وقعـت بعـد وفـاة الرسول بسبع سنوات، وبرزت أُولى مؤشراتها في قولهم: لا يجوز أن يستوي ذوو السابقة في الإسلام ـ وهم أصحاب الرسول ومن شـهد منهم حروبه ـ مع سائر الناس؛ هؤلاء يجب أن تكون لهم امتيـازات! فمنحت لهم امتيازات مالية من بيت المال!

كانت هذه هي اللبنة الأولـى، وهـذا هـو حـال سـائر التيـارات المنحرفة؛ تبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل شأنها ويتفـاقم مـع كـل خطوة. الإنحرافات بدأت من هنا إلى أن بلغت عهـد عثمـان، حيـث آلت الأوضاع في أواسط عهد الخليفة الثالث إلى حالة صار فيها كبار صـحابة رسـول الله ﷺ أثـرى الأثريـاء فـي زمـانهم. أي أن كبـار الصحابة من ذوي الأسماء المعروفة ـ كطلحة والزبير وسعد بن أبـي وقاص وأمثالهم ـ الذين كان لهم مفاخر، باتوا من رأسماليي الطـراز الأول! بحيث إن أحدهم لمّا مات وأرادوا تقسيم أموالـه بـين وارثيـه اضطروا إلـى كـسر الـذهب ـ الـذي أذابـه وحولـه إلـى سـبائك ـ بالفؤوس، كالحطب الذي يكسر بالفؤوس، فكم كان مقـدار الـذهب

إذن حتى يكسر بالفؤوس؟ والحال أنّ الذهب يوزن بالمثاقيل، هذا ما سجّله التاريخ!

هذا ليس مما يقال أن الشيعة سطّروه في كتبهم، أبداً، هذا ما كتبه الجميع، فالمبالغ التي خلفوها من الدنانير والدراهم كانت مبالغ خيالية! وهذه الحالة هي التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث على عهد أميرالمؤمنين عليه السلام، أي بما أن البعض صار يولي أهمية فائقة للمنصب، لذلك فقد دخلوا في صراع معه.

هذا وقد مرت خمس وعشرون سنة على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد بدأت الكثير من الأخطاء والإشتباهات. إن نفس أمير المؤمنين عليه السلام هي نفس الرسول صلى الله عليه وآله، ولولا هذه الفترة ـ الخمس وعشرون سنة ـ لما كانت تواجه علياً عليه السلام أية مشكلة في بناء ذلك المجتمع، إلا أنه عليه السلام جوبه بمثل هذا المجتمع الذي يوصف بعض أفراده بأنهم «يتخذون مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً بينهم»[1]. مجتمع ضاعت القيم فيه في خضم حب الدنيا، مجتمع يواجه فيه أميرالمؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة عندما يريد قيادة الناس إلى الجهاد.

كان أكثر الخواص في عهد أمير المؤمنين من المناصرين للحق؛ أي من الذين كانوا يعرفون الحق، ولكنهم يرجحون الدنيا على الآخرة. وهو ما أدى به إلى خوض ثلاث معارك، وأنهى فترة حكمه

---

(١) نهج البلاغة، كتب أمير المؤمنين٦٢، ص٧٤٠؛ تحقيق فارس تبريزيان.

التي استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر في هذه المعارك الثلاثة! إلى أن استشهد في نهاية المطاف على يد أحد الأشقياء.

إنّ دم أميرالمؤمنين عليه السلام غال كدم الإمام الحسين. تقرأون في زيارة عاشوراء: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره». أي إن الله تعالى هو ولي دم الإمام الحسين عليه السلام وولي دم أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يرد مثل هذا التعبير لأحد غيره. من البديهي أن لكل دم يراق ولي، وهو ما يسمى بولي الدم؛ فالأب ولي دم ولده، والولد ولي دم أبيه، والأخ ولي دم أخيه، ويسمى هذا عند العرب ثأراً، المطالبة بالدم ومالكية حق الدم يسمونها بالثأر. والذي يطالب بدم الإمام الحسين هو الله تعالى، كما أنه هو المطالب بدم أميرالمؤمنين عليه السلام، إذن وليّ دم هاتين الشخصيتين هو الله تعالى.

لقد استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام بسبب تلك الأوضاع. ومن بعده جاء ابنه الحسن عليه السلام الذي لم يتسنّ له الصمود بوجه تلك الحالة أكثر من ستة أشهر، إذ تخلى عنه أنصاره وتركوه فريداً وحيداً؛ فرأى أنه إذا سار لمحاربة معاوية بهذه الثلّة القليلة واستشهد فلن يطالب أحد حتى بثأره نتيجة لاستشراء الإنحطاط الأخلاقي في المجتمع الإسلامي، وبين هؤلاء الخواص! وإن دعاية معاوية وأمواله وحيله ستستحوذ على الجميع، وسيقول الناس بعد مضي سنة أو سنتين: إن الإمام الحسن لم يحسن صنعاً ـ أساساً ـ حين تحدّى معاوية، ومعنى هذا أن دمه سيذهب هدراً، لذلك تحمل جميع المصاعب ولم يُلق بنفسه في ميدان الشهادة.

أنتم تعلمون أن الشهادة تكون أحياناً أسهل من البقاء على قيد الحياة. وهذا المعنى يدركه جيداً أهل الحكمة والدقة والآفاق المعنوية. أحياناً تصبح الحياة والعمل في أجواء معيّنة أصعب بكثير من القتل والشهادة ولقاء الله، لكن الإمام الحسن (عليه السلام) سلك هذا السبيل الأصعب.

في تلك الأوضاع كان الخواص في حالة انهيار ولم يكونوا على استعداد للقيام بأي تحرك. ولهذا السبب حينما استلم يزيد السلطة ثار عليه الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لأن يزيد بما يتصف به من صفات سيئة كان من السهولة محاربته، وفيما لو قتل أحد في محاربته لا يذهب دمه هدراً.

كانت الأوضاع في عهده لا خيار فيها إلاّ خيار الثورة، على العكس من زمن الإمام الحسن (عليه السلام) الذي فيه خياران خيار الشهادة وخيار الحياة، وكان البقاء على قيد الحياة أكثر ثواباً وجدوى ومشقة من القتل، والإمام الحسن (عليه السلام) اختار هذا المسلك الأوعر. ولكن الوضع لم يكن على هذه الصورة في عهد الإمام الحسين (عليه السلام) ولم يكن هناك إلاّ خيار واحد! والبقاء على قيد الحياة الذي يعني عدم الثورة ما كان له آنذاك أي معنى، كان لابد له من الثورة، سواء انتهى به الأمر إلى القبض على الحكم أم كان مصيره إلى الشهادة. كان عليه أن يرسم الطريق ويركز لواء الدلالة عليه، ليكون واضحاً أن الأمور إذا بلغت هذا الحد لابدّ وأن يكون التحرك في هذا الإتجاه.

طيّب، وعندما ثار الحسين عليه السلام لم يأت الكثير من هؤلاء الخواص لنصرته مع ما كانت له من منزلة عظمى في المجتمع الإسلامي! لاحظوا مدى الضرر الناجم عن وجود هؤلاء الخواص في المجتمع؛ الخواص الذين يرجّحون دنياهم حتى على مصير العالم الإسلامي لقرون مقبلة، مع ما كان للإمام الحسين من مكانة وشهرة.

كنت أنظر في قضايا ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحركته من المدينة، ولاحظت أنه في الليلة التي سبقت مسيره من المدينة كان عبد الله بن الزبير قد خرج من المدينة أيضاً، وفي الحقيقة كان كلاهما في وضع واحد، ولكن أين الإمام الحسين عليه السلام من عبد الله بن الزبير؟ حديث الإمام الحسين، كلامه، خطابه، أجبر والي المدينة آنذاك ـ وهو الوليد ـ على أن يرقّق كلامه ولا يتبع الغلظة مع الحسين عليه السلام، وما إن تفوّه مروان بكلمة، إلاّ والحسين يرد عليه مهدداً غاضباً، ولا حيلة لمروان إلاّ السكوت ذليلاً.

هؤلاء الأشخاص أنفسهم ذهبوا وحاصروا دار عبد الله بن الزبير،

فأخرج إليهم أخاه، فاستأذن منهم أن يسير معهم إلى دار الإمارة في تلك اللحظة، فأهانوه وهددوه إن هو لم يخرج إليهم قتلوه، حتى خضع لهم وتوسل إليهم في أن يأذنوا له أن يرسل أخاه، وغداً يأتيهم بنفسه.

ومع أن عبد الله بن الزبير كان شخصية بارزة أيضاً إلا أن موقفه كان يختلف إلى هذا الحد مع موقف الإمام الحسين. لم يكن أحد

يتجرأ على التصرف مع الإمام الحسين أو مخاطبته بهذا الأسلوب لما له من حرمة وما يتسم به من عظمة وشخصية وهيبة وقوّة روحية.

وفي طريقه إلى مكة كان كل من يلقاه ويتكلم معه يخاطبه بالقول: جُعلت فداك، أو بأبي أنت وأُمي، أو عمّي وخالي فداك. هكذا كانوا يكلمون الإمام الحسين، وهكذا كانت له مكانة ممتازة وبارزة في المجتمع الإسلامي.

جاءه عبد الله بن مطيع وهو بمكة وقال له: «يا ابن رسول الله، إن قُتلت لنسترقن من بعدك». أي إن هؤلاء القوم يحجزهم عن إذائنا خشيتهم لك وهيبتهم منك، وإنك إذا ثرت عليهم وقُتلت اتخذونا رقيقاً لهم.

كانت للإمام الحسين ﵇ مكانة وعظمة يخضع لها حتى عبد الله ابن عباس، وعبدالله بن جعفر وحتى عبدالله بن الزبير ـ مع أنه لم يكن ينظر للإمام الحسين بعين الإرتياح ـ كان يبدي له غاية التبجيل والإكرام.

جميع الأكابر والخواص من أنصار الحق، أي الذين لم يكونوا إلى جانب الحكومة الأموية ولم يدخلوا جبهة الباطل، وحتى من بينهم الكثير من الشيعة الذين يقرّون بإمامة أميرالمؤمنين ﵇ ويعتبرونه الخليفة الأول شرعاً، هؤلاء بأجمعهم حينما أحسوا ببطش السلطة الحاكمة، تخاذلوا رغبة في الحفاظ على أنفسهم وأموالهم ومناصبهم. ونتيجة لتخاذل هؤلاء، مال عوام الناس إلى جانب الباطل.

لو نظرنا إلى أسماء أهل الكوفة الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام ودعوه للقدوم إليهم، وكان كلهم طبعاً من طبقة الخواص ومن أكابر القوم ووجهاء الناس، وكان عدد الرسائل هائلاً بلغ مئات الصفحات، وربّما ملأت عدّة خروج. والذين كتبوها غالباً من الأعيان والوجهاء، يتبيّن من خلال لهجة تلك الرسائل كم عدد الخواص من أنصار الحق، من كان على استعداد للتضحية بدينه من أجل دنياه، ومن منهم كان حريصاً على التضحية بالدنيا في سبيل الدين. وهذا ما يمكن أن يُستشف من خلال الرسائل.

ولكن بما أن عدد الذين كانوا يميلون إلى التضحية بالدين في سبيل الدنيا كان أكبر، آلت النتيجة إلى مقتل مسلم بن عقيل في الكوفة بعدما كان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً من أهلها. وبعد ذلك خرج منها عشرون أو ثلاثون ألفاً لقتال الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء.

معنى هذا أن حركة الخواص تجلب في أعقابها حركة العوام. لا أدري هل عظمة هذه الحقيقة التي تلازم الناس الواعين على الدوام، تتبين لنا بشكل واضح صحيح أم لا؟ لابدّ وأنكم سمعتم بما جرى في الكوفة؛ إذ كان القوم قد كتبوا الرسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام أن أقدم علينا معززاً، فأوفد إليهم مسلم بن عقيل ليطلع على حقيقة الموقف؛ إن كان خيراً سار إليهم بنفسه.

سار مسلم إلى الكوفة، ودخل دور كبار الشيعة؛ وتلا عليهم كتاب الإمام الحسين إليهم، فأخذ الناس يفدون عليه زرافات زرافات

ويعلنون عن ولائهم. وكان النعمان بن بشير والي الكوفة آنذاك شخصاً ضعيفاً ومسالماً، فأعلن أنه لا يقاتل إلاّ من يقاتله؛ ولم ينهض لمجابهة مسلم بن عقيل، فرأى الناس أن المجال مفسوح أمامهم، فجاءوا إلى مسلم وبايعوه.

بعث بعض الخواص المؤيدين للباطل ـ من أنصار الأمويين ـ رسالة إلى يزيد يعلمونه فيها أن كانت له في الكوفة حاجة فليولّي عليها رجلاً حازماً، وأن النعمان بن بشير لا طاقة له على مجابهة مسلم بن عقيل.

كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد الذي كان والياً على البصرة حينذاك يعلمه فيها بأنّه عيّنه والياً على الكوفة مع احتفاظه بولاية البصرة. وانطلق عبيد الله من ساعته يحث السير من البصرة إلى الكوفة. ويتضح دور الخواص أيضاً من خلال مجيئه إلى هناك. وإذا رأينا المجال يسمح بذلك قد نعرض هنا جانباً من تلك القضية.

وصل عبيد الله إلى مشارف الكوفة ليلاً، وما أن رأى الناس رجلاً ملثماً قادماً ومعه الخيل والعدّة، حتى ظنه العوام أنه الإمام الحسين، فتقدموا إليه بكل بساطة وحيّوه قائلين: «السلام عليك يا ابن رسول الله». هذه صفة عوام الناس؛ ليست لأحدهم قدرة على التحليل أو النظر في الأمر، فما أن رأوا شخصاً قادماً ومعه الخيل والعدّة حتى ظنّوه الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ حتى قبل أن يتحدث معهم بكلمة وحدة. وأخذ الجميع يردد إنه الإمام الحسين. كان الجَدير بهم أن يتأملوا ليعرفوا من هو.

لكن هذا القادم لم يلتفت إلى الناس، وسار إلى دار الإمارة وعرفهم بنفسه ودخل القصر. وبدأ يخطط من هناك للقضاء على وثبة مسلم بن عقيل، وتركزت مساعيه على استخدام أشد أساليب الضغط والتهديد والتعذيب ضد أنصار مسلم بن عقيل. واحتال على هاني بن عروة واستقدمه إلى القصر، وشجّ رأسه ووجهه. ولما احتشد بعض الناس حول القصر نجح بتفريقهم بأساليب الحيلة والكذب. وهنا أيضاً يتضح دور الخواص الفاسدين الذين يسمّون بأنصار الحق، وهم الذين عرفوا الحق وميّزوه، لكنهم رجّحوا دنياهم على الدين.

وبعد أن سار مسلم بن عقيل بحشد كبير من أنصاره ـ جاء في كتاب ابن الأثير أن عددهم بلغ ثلاثين ألفاً، والذين أحاطوا بداره فقط بلغ عددهم أربعة آلاف يحملون السيوف دفاعاً عنه، كان هذا في اليوم التاسع من ذي الحجة ـ سارع ابن زياد إلى بث بعض خواص الباطل بينهم لأجل إثارة الخوف والرعب فيهم، ويشيعوا بينهم أن لبني أمية كل شيء؛ السلاح والمال والقوّة، وأن هؤلاء لا شيء عندهم. فاستشرى الذعر بين الناس وأخذوا يتفرقون عنه تدريجياً، وما أن حان وقت صلاة العشاء حتى لم يبق مع مسلم أحد. ونادى منادي ابن زياد: يجب أن يحضر الجميع إلى مسجد الكوفة عند صلاة العشاء ليصلوا معه! وجاء في المصادر التاريخية أن المسجد امتلأ بالناس للصلاة خلف ابن زياد.

حسناً، لماذا آلت الأمور إلى ذلك المآل؟ إنني حينما أنظر أرى أن ذلك يُعزى إلى الخواص من أنصار الحق الذين سلك بعضهم مسلكاً اتسم بغاية التخاذل، من أمثال شريح القاضي! شريح هذا لم يكن من بني أمية وكان يعرف حقيقة الأوضاع ويدرك الحق مع مَن. فحينما جاءوا بهاني بن عروة وشجّوا رأسه وجرحوا وجهه وألقوه في السجن، هبّت عشيرته وحاصرت قصر ابن زياد، فخشي ابن زياد اجتماعهم؛ إذ يرون أن قاتل هاني هو ابن زياد، لذلك أمر شريحاً أن يذهب ليرى بعينه أن هاني حيّ.

اطلع شريح على حياة هاني بنفسه ولكنه وجده مجروحاً، فيما أن رأى هاني شريحاً القاضي حتى استغاث بالمسلمين (مخاطباً لشريح) أين قومي؟ هل ماتوا؟ لماذا لا يأتون وينقذوني مما أنا فيه؟

يقول شريح: أردت أن أذهب وأبلغ المجتمعين حول قصر الإمارة بمقالة هاني، لكن للأسف كان هناك جاسوس ابن زياد، فلم أستطع! ماذا يعني (لم أستطع)؟ يعني ترجيح الدنيا على الدين.

لعل شريح لو كان فعل ذلك لتغير التاريخ، لو قال للناس أن هاني حي ولكنه في السجن، وابن زياد يريد قتله ـ ولم يكن ابن زياد قد استولى على الأمور بعد ـ لهجموا وأنقذوا هاني وأصبحوا أكثر قوّة وشكيمة ولقبضوا على ابن زياد وقتلوه أو أخرجوه من هناك، ولاستتب أمر الكوفة للحسين (عليه السلام)، ولما وقعت حادثة كربلاء! ولو لم تقع حادثة كربلاء لانتهى الأمر إلى استلام الإمام الحسين

لزمام الحكم، ولو أن هذا الحكم استمر تسعة أشهر ـ وربما كان يمتد لفترة أطول ـ لكانت له بركة كبيرة في التاريخ.

قد تؤدي حركة ما أحياناً إلى تبديل وجه التاريخ. وقد تقود حركة أُخرى مغلوطة وناتجة عن الخوف والضعف وحب الدنيا والحرص على الحياة، إلى جعل التاريخ يتمرغ في مهاوي الضياع. أنت (يا شريح القاضي) لماذا لم تشهد بالحق حينما رأيت هاني على تلك الحالة؟! هذا هو دور الخواص الذي يفضّلون الدنيا على الدين.

حينما أمر ابن زياد رؤساء القبائل أن يذهبوا ويعملوا على تفريق الناس من حول مسلم. لماذا أطاعوا أمره؟ فهم لم يكونوا بأجمعهم من الأمويين، ولم يكونوا قد قدموا من الشام، بل إن بعضهم كان ممن كتب الرسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام كشبث بن ربعي الذي كان قد كتب له رسالة ودعاه إلى القدوم! هذا الرجل كان من جملة الذين أمرهم ابن زياد بالسعي لتفريق الناس، فذهب وأخذ يثبط الناس ويستخدم أساليب التهديد والتخويف والإغراء، وساهم في تفريق الناس عنه. لماذا فعلوا هكذا؟

لو أن شخصاً كشبث بن ربعي خشي الله في لحظة مصيرية، بدلاً من خشية ابن زياد، لتبدّل وجه التاريخ! لكن هؤلاء انبروا لتثبيط الناس؛ فتفرق العوام.

ولكن لماذا تفرق الخواص المؤمنون المحيطون بمسلم؟ مع أنه كان من بينهم شخصيات خيّرة وصالحة وبعضهم سار في ما بعد إلى

كربلاء واستشهد هناك. لكنهم أخطأوا في ذلك الموقف. من الطبيعي أن الذين استشهدوا في كربلاء قد كفّروا عن خطئهم ذلك. ونحن هنا لا نتحدث عنهم ولا نذكر أسمائهم. ولكن أيضاً كان من بينهم من لم يأتِ إلى كربلاء! لم يستطيعوا أو لم يوفقوا، لكنهم انخطروا في ما بعد في صفوف التوابين.

ولكن ما فائدة ذلك بعدما وقعت فاجعة كربلاء وقتل سبط الرسول، وبدأت حركة التاريخ بالإنتكاس؟ ولهذا السبب كان عدد التوابين عدّة أضعاف شهداء كربلاء. شهداء كربلاء صرعوا كلهم في يوم واحد، والتوابون صرعوا كلهم في يوم واحد أيضاً. ولكن تلاحظون أن الأثر الذي تركه التوابون في التاريخ لا يعدل واحداً من ألف مما خلفه شهداء كربلاء! وذلك لأنهم لم يبادروا إلى ذلك العمل في وقته، ولأن تشخيصهم وقرارهم قد جاء متأخّراً. لماذا تركوا مسلم وحده، بعد ما جاء إليهم كمندوب عن الإمام الحسين، وبعدما بايعوه وأنا هنا لا أخاطب العوام بل أعني الخواص. لماذا حينما جنًّ عليه الليل تركوه يلتجئ إلى دار طوعة؟!

لو أن الخواص لم يتخلوا عن مسلم، ولو وقف إلى جانبه على سبيل المثال مائة رجل، وآووه في دار أحدهم ودافعوا عنه، ومسلم حتى حينما كان وحده حينما أرادوا اعتقاله بقي يقاوم عدّة ساعات، واستطاع بعد أن هجموا عليه عدة مرّات، ورغم كثرة عددهم أن يردهم على أعقابهم، ولو كان معه مائة رجل، هل كان بإمكانهم القبض عليه؟! كلا؛ لأن الناس سيهبون لنجدتهم.

إذن الخواص قصّروا هنا إذ لم يهبّوا لمؤازرة مسلم. لاحظوا أينما تذهبون تصطدمون بموقف الخواص. من الواضح أن قرار الخواص في الوقت المناسب، ورؤيتهم الصائبة للأُمور في الوقت المناسب، وتجاوزهم عن الدنيا في اللحظة المناسبة، وموقفهم في سبيل الله في الفرصة المؤاتية، هو الذي يستنقذ التاريخ ويصون القيم. وهذا ما يوجب اتخاذ الموقف المناسب في اللحظة المناسبة، أما إذا فات الأوان، فلا جدوى في ما وراء ذلك.

بعد الإنتخابات التي جرت في الجزائر وفازت فيها الجبهة الإسلامية، سيطر الجيش على مقاليد الحكم بتحريض من أمريكا وغيرها. في اليوم الأول لمجيء حكومة العسكر إلى السلطة، لم تكن لها أية قوّة، فلو أن مسؤولي الجبهة الإسلامية قادوا الناس إلى الشوارع منذ اليوم الأول ـ وقد أعلنت لهم ذلك ـ حين لم تكن الحكومة العسكرية يومذاك على درجة من القوّة، ولا قادرة على أي عمل، لقضوا عليها ولأقاموا حكماً إسلامياً، ولكانت في الجزائر اليوم حكومة إسلامية. ولكنهم لم يتخذوا قراراً كهذا. بعضهم أخذته الرهبة، والبعض الآخر انتابه الضعف، والبعض قال: لنا الرئاسة، أو لهذا أو لذاك!

عصر يوم الحادي والعشرين من بهمن عام ١٣٥٧هـش ١٩٧٨م أعلنت الأحكام العرفية[١] في طهران، لكن الإمام دعا الناس للنزول إلى

---

(١) حكومة عسكرية، أو حظر التجوال.

الشوارع ولو لم يتخذ الإمام هذا القرار في تلك اللحظة لكان محمد رضا لا يزال يحكم هذا البلد. ولو أن الناس حين إعلان الأحكام العرفية لزموا منازلهم، لبدأوا أول ما بدأوا بالإمام ومن بعده مدرسة الرفاه ثم بقية المناطق، ولقضوا على كل شيء، ولكانوا قتلوا في طهران خمسمائة ألف شخص، وانتهى كل شيء! على غرار ما حصل في أندونيسيا حيث قتلوا مليون شخص ثم عاد كل شيء إلى محلّه، وذلك الشخص على رأس السلطة اليوم، شخصيته المبجّلة والمكرّمة، ولم يتزحزح شيء عن موضعه. غير أن الإمام اتخذ القرار اللازم في اللحظة الحاسمة، في موقعه.

لو أن الخواص شخّصوا ما ينبغي عمله في الظرف المناسب، وطبقوا ذلك لتغير وجه التاريخ، ولما سيق أمثال الحسين بن علي إلى ميادين كميدان كربلاء. وإذا كان الخواص قد أساءوا الفهم، أو أبطأوا في الفهم، أو فهموا ولكن اختلفوا كما هو الحال بالنسبة للأُخوة الأفغان ـ وحتى إذا كان المتصدون للعمل كفوئين، إلا أن طبقة الخواص لم تتجاوب معهم، وقال أحد أفرادها نحن مشغولون حالياً وقال غيره لقد انتهت الحرب، دعونا نتفرّغ لأعمالنا ونكسب لقمة عيشنا وجمعوا خلال بضع سنوات إمكانات هائلة وإننا قد سئمنا القتال والتجوال بين هذه الجبهة وتلك؛ تارة في جبهة الغرب وتارة في جبهة الجنوب، إذا تصرف الخواص بهذه الصورة، فاعلموا أن التاريخ ستتكرر فيه وقائع كواقعة كربلاء! وعد الله تعالى بنصرة من

ينصره، إن قام أحد للّه وبذل جهده يكون النصر حليفه لا بمعنى يكتب النصر لكل واحد من الأشخاص، بل معناه أن أية جماعة عندما تتحرك تنال النصر، ومن الطبيعي أن مسارها تحفّه المصاعب والقتل والآلام، ولكن فيه انتصار أيضاً.

يقول الباري تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[1] ولا يقول ننصركم دون أن يدمى أنف أحدكم، لا أبداً، وإنما يقول ﴿فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلونَ﴾[2] ولكن ينتصرون، هذه سنّة إلهية. حينما نخاف على دمائنا، وعلى كرامتنا، وعلى أموالنا، ولأجل عوائلنا وأحبائنا، وحينما نخشى على الراحة والمعيشة الوادعة، ونحرص على الكسب وعلى الحصول على دار فيها غرفة أكثر من غرف الدار السابقة، عندما تُعيقنا أمثال هذه الأُمور عن الحركة، يصبح من الواضح حينها أنه حتى لو كان أشخاص كالإمام الحسين تزعموا الطريق، لاستشهدوا عن آخرهم، مثلما استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام، وكما استشهد الحسين عليه السلام.

الخواص، الخواص، طبقة الخواص. أُنظروا يا أعزائي أين موقعكم؛ إن كنتم من الخواص ـ وأنتم فعلاً منهم ـ فحاذروا. هذا كل ما نريد قوله. من الطبيعي أن كلامنا هذا خلاصة لهذا الموضوع الذي يستدعي أن يُدرس في حقلين:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

يتمثل الحقل الأول في الجانب التاريخي للقضية. ولو كان أمامي متسعاً من الوقت لبادرت إليه بنفسي ولكن مع الأسف لم يعد في الوقت متسع له، إذن يجب أن يُبحث لأجل العثور على أمثلة مما يحفل به التاريخ عن الخواص، والظروف التي كان ينبغي عليهم فيها المبادرة للعمل فلم يُبادروا، مع ذكر أسمائهم. ولو كان المجال يسمح الآن ولا يتعبني ويتعبكم، لتحدثت إليكم ساعة عن هذه المواضيع والأشخاص؛ ففي ذهني الكثير منها.

أما الحقل الثاني الذي يجب البحث فيه فهو تطبيق ذلك على وضع كل زمان، لا في زمننا الحالي فحسب، وإنما في كل زمن كان يجب فيه على الخواص العمل بتكاليفهم لكنهم لم يعملوا بها. وما ذكرناه عن اجتناب انقيادهم لمغريات الدنيا، كان كلمة واحدة؛ ويجب البحث في كيفية عدم الإنقياد للدنيا، مع ذكر الأمثلة والمصاديق على ذلك.

يا أعزائي! إن السير على طريق الله له معارضون على الدوام. ولو أن شخصاً من هؤلاء الخواص الذين تحدثنا عنهم أراد أن يقدم على عمل ـ إن هو أراد ذلك ـ لانبرى له جماعة آخرون من أولئك الخواص أنفسهم باللوم والتعنيف والتقريع على موقفه ذاك. مثلما كانوا يفعلون في أيام ثورتنا. لكن الخواص يجب عليهم أن يقاوموا؛ هذه إحدى ضرورات جهاد الخواص، وهي الصبر على اللوم والتقريع، لأنهم يتلقون من المعارضين التهم والإساءات على الدوام.

نحمد الله على أن انتخاباتنا جرت على ما يُرام، وشارك فيها أبناء الشعب كافة، وقد انتخب والحمد للّه نواب صالحون. ونشكر الله على أن الحكومة، ووزارة الداخلية، ورئيس الجمهورية، ومجلس صيانة الدستور وغيرهم ساهموا بأجمعهم في إقامة هذه الإنتخابات، فجرت على أفضل ما يكون.

لقد تحدث بعض أفراد قوات التعبئة ببعض الكلمات في طهران أو هنا أو هناك؛ فأُثيرت لأجل ذلك ضجّة بذريعة أن الحرس الثوري تدخّل في الإنتخابات، وما شابه ذلك. ما هذا الكلام؟ أجل، إن الأمور تسير على هذه الشاكلة. إذا أراد المرء أن يقوم بأي إجراء أو يأتي بأي عمل، فالعدو بالمرصاد.

والأعداء صورهم شتى، حتى إن بعضهم من الأصدقاء وهم ليسوا أعداء، ولكنهم لا يفهمون ولا يشخّصون، فيثيرون الشكوك والشبهات!

طبعاً كما قال الإمام الراحل لا ينبغي للحرس الثوري والجيش وسائر القوات المسلحة الخوض في السياسة. ولا يعني هذا أن الأعداد الهائلة من قوات التعبئة لا يحق لها أداء دور مناسب في قضية خطيرة، كالإنتخابات. لماذا يخلط البعض بين هذين الأمرين؟ أفراد الحرس الثوري شأنهم شأن سائر الناس. يجب عليهم التعامل مع كل شيء بشكل عقلاني. ومن الطبيعي أن عدم الخوض في السياسة باقٍ على قوّته بذات المعنى الذي أمر به الإمام. ولا يتوهم البعض أنّ

المسار السياسي قد طرأ عليه تغيير، على اعتبار أن الإمام قال: لا تقحموا أنفسكم في السياسة، بينما يقال حالياً: ادخلوا في السياسة! أبداً. فالأمر ما أمر به الإمام، ولكن مصداقه ومثاله لا ينطبق على المورد.

إذا أدى الناس الملتزمون والشباب المؤمنون، وهم خيرة شبّان البلد دوراً في الإنتخابات، وحضروا عند صناديق الإقتراع لغرض الإشراف، وللحيلولة دون حصول أي تجاوزات أو خلافات؛ فلا ضير في عملهم هذا. وخلاصة القول هو أن أي عمل تؤدونه ـ أي يؤديه الخواص ـ وفي أي قطاع كان، وقد يكون من القضايا الهامّة التي قد تطرأ في المستقبل، ـ وما ذكر كان نموذجاً مصغراً ـ سيؤدي إلى إثارة الإعتراضات والتساؤلات من قبل البعض!

نحمد الله على أن بلدنا اليوم بلد المجاهدة في سبيل الله، وبلد الجهاد والإيثار والقيم. ومسؤولو البلد وأكابره والعلماء الأعلام والخطباء والمبلغون في شتّى القطاعات كالجامعات وغيرها يعملون لخدمة الثورة والإسلام والفضائل. والقوات المسلحة كما هو واضح مظهر للفضائل. وهذا حرس الثورة بما له من مناقب مشرّفة، وهذه القوات بما تتميّز به من خصائص، كم بذلت من جهود مضنية، وكم سطرت من الملاحم، يجب عليها أن تبقى الآن سائرة في طريق تلك القيم والفضائل ذاتها.

كان هذا عرضاً عاماً لهذه القضية التي ارتئيت الحديث عنها

بمناسبة أيام محرم الحرام. لاشكّ أن ما قلناه موجزاً، وإن كان الوقت قد طال بنا شيئاً ما ـ رغم التوصيات المتكررة بضرورة الإختصار في الأحاديث لكي لا أصاب بالإرهاق ـ والحقيقة إنني أرى ليس من المصلحة أن أرهق نفسي؛ ليتسنى لي أداء مهامي الأخرى، لكن المرء حينما يجلس في محفل كمحفلكم هذا يستغرق في الوجد ولا يشعر بالتعب.

أسأل الله أن يوفقكم جميعاً، وأن يحشر روح الإمام مع الأنبياء والأولياء. وأدعوه تعالى أن يثبت الشعب الإيراني على هذا الطريق الواضح الذي وضع قدمه فيه.

اللهم أحينا لخدمة الثورة الإسلامية والقيم الإسلامية، وأمتنا على هذا الطريق. اللهم اجعل موتنا قتلاً في سبيلك، وارفع درجات شهدائنا الأبرار يوماً بعد آخر. اللهم تفضّل على مضحيّنا بالأجر الجزيل ومنَّ عليهم بتمام الصحة والسلامة. اللهم اجعل أعلى الدرجات لمن تحملوا المشقّة على هذا السبيل، ولمن كانوا في الأسر مدّة من الزمن، وأطلق سراحهم، أو لم يطلق سراحهم إلى الآن، ولمن فقدوا أو فقدت أجسادهم ولا أحد يعلم عنهم شيئاً، واكتب لعوائلهم الأجر والصبر. اللهم اقض حاجات المسلمين، وخلّص البلدان الإسلامية من مخالب الأجانب ومن براثن أمريكا، وأيقظ زعماء المسلمين من سبات الغفلة، واستنقذهم من مستنقع الشهوات.

اللهم بحق محمد وآل محمد أرنا عزتك وقدرتك في مذلة وانكسار أمريكا وسائر أقطاب الاستكبار وأذنابهم، وأذق الشعب الإيراني حلاوة الإنتصار عليهم.

اللهم وكما محوت الإتحاد السوفيتي، نسألك أن تمحو بقية أقطاب الإستكبار.

اللهم اشمل برحمتك وبركاتك كل من عاش ومات على هذا السبيل.

اللهم تقبّل بلطفك وكرمك كافة الأعمال والجهود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عاشوراء .. والعِبَر[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين.. أحمدهُ وأستعينه وأستغفره وأتوكّل عليه.. وأُصلي وأُسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته من خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالاته بشير رحمته ونذير نقمته.. سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين المظلومين المعصومين، سيّما أبو عبدالله الحسين عليه السلام.. وبقية الله في الأرضين، الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأدعوكم للتقوى أولاً وآخراً، وأحثّكم على التزوّد بزاد التقوى. وحتى البحوث التي نقدّمها إنما نبغي من ورائها ترسيخ التقوى ـ بعون الله ـ في أنفسنا وتركيز دواعيها لدى الناس ولدى مستمعي صلاة الجمعة إن شاء الله.

أُكرّس كلامي في هذا اليوم لبحث واقعة عاشوراء.

وهذا الموضوع وإن أفاضت فيه الكثير من الكلمات والخطب، وألقينا فيه بحوثاً ودراسات، إلاّ أنّ جوانب وآفاق هذه الحادثة العظيمة الخالدة مهما بُحثت تبقى تشعّ منها أبعاد جديدة، وتشرق منها مزيد من الأنوار فتسطع على حياتنا.

---

(١) في ١٤١٩/١/١١هـ خطبة الجمعة بمناسبة أيام عاشوراء (طهران).

محاور البحث في واقعة عاشوراء:

هنالك، في ما يتعلق بمباحث واقعة عاشوراء، ثلاثة محاور أساسية:

الأول: دراسة علل ودوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام والأسباب التي حَدَت به إلى الثورة؛ أي تحليل الدوافع الدينية والعلمية والسياسية لهذه الثورة.

وسبق لنا وأن تحدّثنا فيما مضى عن هذا الموضوع بالتفصيل، إضافة إلى ما للفضلاء والأكابر من دراسات قيّمة فيه؛ ولهذا فلا أتحدّث ـ اليوم ـ عن هذا الجانب.

الثاني: هو بحث الدروس المستقاة من عاشوراء.

وهو طبعاً بحث حيّ وخالد على مرّ الزمن ولا يختص بزمن معين دون سواه.

فدرس عاشوراء هو درس التضحية والشجاعة والمواساة، ودرس القيام للّه، والإيثار والمحبّة.

وأحد دروس عاشوراء هي هذه الثورة الكبرى التي فجرتموها أنتم أبناء الشعب الإيراني امتثالاً لنداء حسين العصر وحفيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وهذا بحد ذاته واحد من دروس عاشوراء.

ولا أُريد حالياً الدخول في أي حديث عن هذا الموضوع.

الثالث: هو العِبَر المستقاة من عاشوراء.

سبقت لنا إثارة هذا الموضوع قبل عدّة سنوات وأشرنا إلى أنّ لعاشوراء ـ فضلاً عن الدروس المستقاة منه ـ عِبَراً أيضاً.

والبحث في عبر عاشوراء يختص بالزمن الذي تكون فيه الحاكمية للإسلام.

ويمكن القول ـ على أدنى الإحتمالات ـ إنّ مثل هذا البحث يختص الجانب الأساسي منه بمثل هذا الزمن الذي يوجب علينا وعلى بلدنا أخذ العبرة.

ورأينا طرح هذه القضية وفقاً للصيغة التالية، وهي: كيف أنّ المجتمع الإسلامي الذي التفّ حول الرسول وأحبّه وآمن به وامتلأ بالدين حبّاً وشغفاً، ونشأ وتنامى في ضوء الأحكام التي ستتحدث لاحقاً عن شيء منها، وفيه مَن أدرك عصر رسول الله ﷺ كيف وصل به الحال بعد خمسين سنة أن يجتمع ويقتل سبط الرسول أبشع قتلة؟ وهل هناك ارتداد ونكوص وإنحراف أشد من هذا؟!

ألقت زينب الكبرى عليها السلام في سوق الكوفة خطبة عصماء بليغة تمحورت حول هذا، قالت فيها: «ألا يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟»[1] وذلك لأنهم حينما شاهدوا رأس الحسين على الرمح، وبنت علي مسبية، ولمسوا عمق المأساة ضجّوا بالبكاء. «فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة، ..»[2] ثم قالت: «إنما مثلكم كمثل التي

(١ – ٢) اللهوف، للسيد ابن طاووس: ص ٦٧ و ٦٨.

نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم»[١].

وهذا هو النكوص والإرتداد والتراجع القهقرى.

فأنتم في الحقيقة كالمرأة التي غزلت الصوف، ومن بعد ما أتمّته نقضت الغزل وعادت إلى ما كانت عليه، وأنتم في حقيقة الأمر نقضتم غزلكم وأعدتموه صوفاً، وهذا هو التراجع.

وهذه عبرة.

كل مجتمع إسلامي معرّض لمثل هذا الخطر.

لقد كانت أكبر مفخرة لإمامنا الخميني أنه حفّز الأمة على العمل بأحاديث الرسول.

وهل يمكن مقارنة غير الأنبياء وغير المعصومين بشخصية عظيمة كشخصية الرسول الذي بنى ذلك المجتمع؟! ولكن انتهى الحال بذلك المجتمع إلى اقتراف تلك الجريمة.

فهل كل مجتمع إسلامي معرّض للإنسياق لمثل هذه الخاتمة؟

من الطبيعي أنه إذا استعبر لا ينتهي إلى مثلها، ولكنه إذا لم يستعبر فمن الممكن أن يتسافل إلى هذا الحد.

فهذه عِبَر عاشوراء.

أما نحن فقد وفّقنا في هذا العصر ـ بحمد الله وفضله ـ لإقتفاء السبيل من جديد، وإحياء اسم الإسلام في العالم، ورفع راية الإسلام والقرآن عالية. وكانت هذه المنقبة من نصيب الشعب الإيراني الذي

---

(١) اللهوف، للسيد ابن طاووس، ص ٦٨.

مرّت على ثورته عشرون سنة تقريباً وهو ما انفكّ مرابطاً وصامداً على هذا النهج، إلاّ أننا إذا انتابتنا الغفلة، ولم نحترس أو نحاذر ونثبت على المسار كما ينبغي، فمن الممكن أن ننتهي إلى نفس ذلك المصير.

وهنا يتّضح معنى العبرة من عاشوراء.

أُريد حالياً التوسّع بالحديث في الموضوع الذي طرحته قبل سنوات، ولاحظت ـ والشكر لله ـ أنّ الفضلاء أفاضوا في دراسته وبحثه والكتابة فيه وإلقاء الكلمات حوله.

ومن الطبيعي أنّ الإسترسال في شرح هذا الموضوع لا يستوعبه الوقت المخصص لخطبة صلاة الجمعة؛ فهو بحث مطوّل، وسأتناوله تفصيلياً وبكل خصائصه في غير إجتماع صلاة الجمعة إذا رزقني الله عمراً ووفّقني لذلك.

ولكن لا بأس هنا بإلقاء نظرة إجمالية عليه، وإذا وفّقني الله فسأعمل على إخراجه في كتاب في قالب خطابي ليكون بين أيديكم.

يجب ـ أولاً وقبل كل شيء ـ إدراك مدى فداحة تلك الواقعة حتى نتحرك ونتتبع أسبابها.

لا يقصر نظر أحد على أنّ واقعة عاشوراء كانت ـ في النهاية ـ مذبحة قُتل فيها مجموعة.

كلا، بل إنها وكما نقرأ في زيارة عاشوراء: «لقد عظمت الرزية وجلّت وعظمت المصيبة»[1].

ثلاث مراحل من حياة الحسين عليه السلام:

ولأجل أنّ يتضح مدى عظم تلك الفاجعة، أستعرض بصورة إجمالية ثلاث مراحل قصيرة من حياة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، لنرى شخصية الحسين عليه السلام في هذه المراحل الثلاثة، هل من الممكن أن يحتمل أحد أنه ينتهي بها المآل يوم عاشوراء إلى أن تحاصره حشود من أمّة جدّه وتقتله أشنع قتلة هو وأصحابه وأهل بيته وتسبى عياله؟

تتلخص تلك المراحل الثلاثة في:

أولاً: مرحلة الطفولة، وتبدأ منذ نعومة أظفاره إلى تاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

ثانياً: مرحلة شبابه.. أي خمس وعشرون سنة، من وفاة جده إلى خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثالثاً: المرحلة التي استمرت عشرين سنة من بعد استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام إلى واقعة كربلاء.

ففي المرحلة الأولى؛ أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان الحسين عليه السلام طفلاً مدلّلاً ومحبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الإقبال للسيد ابن طاووس: ص ٣٣٣.

فقد كان لرسول الله ﷺ بنت، وكان المسلمون يعلمون جميعاً آنذاك أنه ﷺ قال: «إني لأغضب لغضب فاطمة وأرضى لرضاها»[١].

فانظروا عظيم منزلة هذه البنت، بحيث أنّ رسول الله ﷺ يُبجّلها بهذه الكلمة وأمثالها في محضر المسلمين والملأ العام. وليس هذا بالأمر العادي.

وزوّجها الرسول الكريم ﷺ لشخص كان ذروة في المآثر، زوجها علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان شاباً شجاعاً شريفاً ومن أكثر الناس إيماناً وأسبقهم إلى الإسلام، وأكثرهم مشاركة في كل ميادينه، علي .. من قام الإسلام بسيفه.. من كان يُقدم حيثما يُحجم الآخرون، ويحلّ المستعصي من العقد .. هذا الصهر العزيز المحبوب الذي لم تكنَ محبته منطلقة من وازع القرابة وما شاكلها من الوشائج، وإنما كانت إنطلاقاً من عظمة شخصيته، ولهذه الأسباب زوّجه ابنته، فكان من نسلهم الحسين و...

وهذا الكلام يصدق كله أيضاً على الإمام الحسن عليه السلام، إلاّ أنّ كلامي هنا يدور حول الإمام الحسين عليه السلام.. أعز عزيز عند الرسول.. الذي كان زعيم العالم الإسلامي وحاكم المسلمين ومحبوب كل القلوب يضمه بين ذراعيه ويصطحبه إلى المسجد.

والمسلمون كانوا يعلمون أنّ هذا الطفل هو محبوب قلب الرسول الذي تذوب القلوب جميعاً في محبته.

---

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق: ص ٣١٤.

فحينما كان الرسول يلقي خطبة من فوق المنبر علقت رجل هذا الطفل بعائق فسقط على الأرض، فنزل الرسول من فوق المنبر واحتضنه ولاطفه.

لاحظوا، هكذا كانت محبة الحسين عليه السلام عند الرسول.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين وهما آنذاك في السابعة والسادسة من عمريهما: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة»[1].

قال فيهما هذا القول وهما لازالا طفلين، أي أنهما حتى وإن كانا في تلك السن، إلاّ أنهما يفهمان ويدركان ويعملان كمن هو في سن الشباب، ويفوح الأدب والشرف من جنبيهما.

ولو قال قائل حينذاك: إنّ هذا الطفل سيقتل على يد أمّة هذا الرسول بلا جرم أو جريرة، ما كان ليصدّقه أحد.

مثلما صرّح رسول الله نفسه بتلك الحقيقة المرّة وبكى لها، وتعجّب في وقتها الجميع، مستنكرين إمكانية حدوث عمل كهذا.

المرحلة الثانية: هي الفترة التي استمرت خمساً وعشرين سنة من وفاة الرسول إلى خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

إذ كان عليه السلام شاباً متوثّباً وعالماً وشجاعاً، شارك في الحروب وخاض شدائد الأمور.

كان معروفاً عند الجميع بالعظمة، وعندما يأتي ذكر الكرام تشخص

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٧٨.

إليه الأبصار وتحوم حوله الأذهان. واسمه يسطع بين جميع مسلمي مكة والمدينة وحيثما امتد الإسلام، بكل فضيلة ومكرمة.

والكل ينظر إليه وإلى أخيه باحترام وتكريم، وحتى خلفاء ذلك العصر كانوا يبدون لهما التعظيم والإجلال.

وكان مثالاً ومقتدىً لشباب ذلك العهد.

وهكذا لو أنّ شخصاً قال آنذاك: إنّ هذا الشاب سيقتل على يد هذه الأمّة، لَما صدّقه أحد.

المرحلة الثالثة: هي تلك المرحلة التي حلَّت من بعد شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام وكان دور غربة أهل البيت.

فكان الإمامان الحسن والحسين يقيمان خلال تلك المدّة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد مقتل أميرالمؤمنين بعشرين سنة، انحصرت الإمامة في الحسين على جميع المسلمين ـ وإن لم تكن الخلافة في يده ـ وبدى مفتياً كبيراً ، وزاد احترامه عند الجميع، وأضحى عروة يتمسك بها كل من يريد التمسّك بأهل البيت.

فكان ذا شخصية محبوبة ورجلاً شريفاً نجيباً أصيلاً عالماً، حتى إنه بعث في ذلك الوقت بكتاب إلى معاوية، لو كان غيره كتبه لأي حاكم لكان جزاؤه القتل، إلاّ أنّ معاوية حينما وصله الكتاب تلقّاه بكل تكريم وقرأه متغاضياً عما جاء فيه.

ثم لو أنّ أحداً كان يقول في ذلك الوقت: إنّ هذا الرجل الشريف الكريم العزيز النجيب الذي يجسّد الإسلام والقرآن في نظر

كل ناظر، سيقتل عمّا قريب على يد أُمة الإسلام والقرآن قتلة شنيعة، لم يكن أحد ليتصور صحّة ذلك، إلاّ أنَّ هذه الواقعة العجيبة البعيدة عن التصور، قد حصلت فعلاً!

ولكن من الذين فعلوا ذلك؟ فعله أولئك الذين كانوا يترددون عليه ويوالونه ويعربون له عن محبتهم وإخلاصهم! فما معنى هذا؟ معناه أنّ المجتمع الإسلامي أُفرغ طوال هذه الخمسين سنة من قيمه المعنوية وجُرِّد من حقيقة الإسلام، فكان ظاهره إسلامياً وباطنه خاوياً.

وهنا هو مكمن الخطر. فالصلوات تقام وصلاة الجماعة موجودة، والأمة توصف بالأمة المسلمة، وحتى إنّ البعض منها يوالي أهل البيت عليهم السلام!

أؤكّد لكم أنّ العالم الإسلامي كله كان ولازال يعتقد بأهل البيت، ولا أحد يشكّ في هذا.

إنّ حب أهل البيت ظاهرة مشتركة بين جميع المسلمين في الماضي والحاضر.

وأينما تذهب اليوم في أرجاء العالم الإسلامي تجد المسلمين يحبّون أهل البيت.

فالمسجد المسمى بإسم الإمام الحسين عليه السلام والمسجد الآخر المسمى بإسم السيدة زينب في القاهرة تجدهما حاشدين على الدوام بجموع الزوّار حيث يرتادهما المسلمون ويزورون القبر ويقبّلونه ويتوسلون به إلى الله.

جاؤوني في الفترة الأخيرة؛ أي قبل سنة أو سنتين بكتاب جديد ـ الكتب القديمة مشحونة بهذا المعنى إنما ذكرته لكونه جديداً ـ عن أهل البيت وحقّقه أحد الكُتّاب الحاليين في الحجاز.

يثبت هذا الكتاب أنّ أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وهذا المعتقد جزء من أرواحنا نحن الشيعة، إلاّ أنّ هذا الأخ المسلم الذي لا ينتمي للشيعة، كتب هذا الكتاب ونشره. والكتاب موجود ولدي نسخة منه، ولابدّ أن آلاف النسخ منه طبعت ووزعت.

ومعنى هذا أنّ أهل البيت يحظون بالإحترام والقبول لدى جميع المسلمين، وكانوا في ذلك العصر يلقون غاية التكريم والمحبّة.

ولكن في الوقت ذاته حينما يصبح المجتمع خاوياً تقع مثل تلك الحادثة.

ولكن أين العبرة من هذا؟ تكمن العبرة في ما ينبغي عمله لكي لا ينزلق المجتمع إلى مثل ذلك المآل.

وهذا ما يوجب علينا فهم الظروف التي ساقت المجتمع إلى تلك النهاية.

وهذا هو البحث المطوّل الذي أُريد أن أقدّم لكم موجزه.

الركائز الأساسية للنظام الإسلامي

أُشير أولاً وكمقدّمة للموضوع: إلى أنّ الرسول ﷺ أرسى أُسس نظام كانت بناه الأساسية تقوم على عدّة ركائز.. تعتبر أربعة منها الثقل في ذلك البناء، وهي:

الأول: المعرفة المتقنة الخالية من الغموض في شؤون الدين، ومعرفة الأحكام، والمجتمع، والتكليف، ومعرفة الله والرسول، ومعرفة الطبيعة.

وهذه هي المعرفة التي انتهت إلى تراكم العلوم وبلغت بالمجتمع الإسلامي في القرن الرابع للهجرة ذروة المدنية والحضارة العلمية.

فالرسول الكريم ﷺ لم يترك أي إبهام وغموض.

ولدينا في هذا الصدد آيات مدهشة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها.

وحيثما كان هناك موضع غموض أو التباس، كانت تنزل آية تجليه.

الثاني: العدالة المطلقة التي لا محاباة فيها سواء في حقل القضاء، أم في حقل الإستحقاقات العامّة ـ لا ما يتعلّق بحقّه الشخصي إذ كان ﷺ يعفو عن حقّه ـ أي العدل التام فيما يتعلّق بعامة الناس ويجب تقسيمه بينهم بالعدل.

وكذا العدالة في تطبيق حدود الله، وفي توزيع المناصب وتفويض المسؤوليات، وتحمّل المسؤولية.

ومن البديهي أنّ العدالة غير المساواة.

لا يلتبس الأمر عليكم، فقد يكون في المساواة ظلم أحياناً، بينما العدالة تعني وضع كل شيء في نصابه، وإعطاء كل شخص حقّه.

فقد كان العدل حينذاك عدلاً مطلقاً لا تشوبه شائبة، ولم يكن في عهد الرسول إستثناء لأي شخص يجعله خارج إطار العدالة.

الثالث: العبودية الخالصة لله والخالية من أي شرك؛ أي العبودية لله في العمل الفردي.. العبودية في الصلاة حيث يجب أن يكون فيها قصد التقرّب إليه، وكذلك العبودية له في بناء المجتمع وفي النظام الحكومي وفي نظام الحياة، والعلاقات الإجتماعية بين الناس. وهذا موضوع يستلزم بحد ذاته شرحاً مستفيضاً.

الرابع: المحبّة الغامرة والعاطفة الفياضة، وهذه من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامي.. حبٌ الله، وحبّه تعالى للناس ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[3]، الحب .. حبَ الزوجة وحب الأولاد، من المستحب تقبيل الأولاد، وتستحب محبتهم، ويُستحب حب الزوجة، ويُستحب حبٌ الأخوة المسلمين والتحبب إليهم،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

والأعظم هو حب الرسول وأهل بيته.. قال تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

لقد رسم الرسول هذه الخطوط العريضة وأرسى ركائز المجتمع على أساسها، ووضع معالم الحكومة عشر سنوات على هذا المنوال.

ومن الواضح طبعاً ـ أنّ تربية الناس تأتي على نحو تدريجي ولا تتحقق جملة وحدة، وبذل الرسول قصارى جهده على امتداد هذه السنوات العشر لترسيخ تلك الأُسس، والعمل على مدّ تلك الجذور في أعماق الأرض، إلاّ أنّ فترة العشر سنوات تعتبر قصيرة جداً إذا ما أريد بها تربية الناس على خلاف ما كانوا قد ترعرعوا عليه من سجايا وخصائص، فقد كان المجتمع الجاهلي في كل شؤونه على النقيض تماماً من مضامين هذه الركائز الأربعة؛ لأنه كان فارغاً من أية معرفة وغارقاً في حيرة الجهل والضلال، ولم تكن لديه أية عبودية للّه، بل كان مجتمع تجبّر وطغيان، وكان مجتمعاً بعيداً عن العدالة ومليئاً بألوان الظلم والتمييز.

رسم أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة صورة فنية رائعة عمّا كان سائداً في العصر الجاهلي من ظلم وتمييز، جاء فيها: «في فتن داستهم بأخفافها ووطأتهم بأظلافها»[2].

كان المجتمع آنذاك مجرداً من معاني المحبّة، كانوا يئدون بناتهم،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢، ص ١٤؛ طبعة مؤسسة نهج البلاغة.

وكانت كل قبيلة تثأر لقتيلها من أي رجل تجده من قبيلة القاتل، سواء كان مستحقاً للقتل أم غير مستحق، وسواء كان مجرماً أم بريئاً، وسواء كان عالماً بتلك القضية أم لا.. كان يسودهم الإضطهاد والقسوة والغلظة والفضاضة المطلقة.

مَن نشأ في تلك الحالة يمكن أن يُصلح ويُهذّب على مدى عشر سنوات ـ إن تحققت شروط ذلك ـ ويمكن إدخاله في الإسلام، ولكن لا يمكن غرس هذه القيم والمفاهيم في أعماق نفسه إلى الحد الذي يجعل لديه القدرة على إيجاد نفس هذا التأثير على الآخرين.

دخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، ودخل في الإسلام أُناس لم يعايشوا الرسول ولم يدركوا تلك السنوات العشر مع النبي ﷺ.

وهنا تتجلّى أهمية مسألة الوصية التي يعتقد بها الشيعة، ويكمن منشأ الوصية والنص الإلهي، من أجل ديمومة ذلك النهج التربوي؛ وإلا فمن الواضح أنّها ليست من سنخ أنواع الوصايا الأخرى المتداولة في هذا العالم، فكل إنسان يوصي قبل وفاته لإبنه، إلاّ أنّ القضية هناك تعني لزوم استمرارية نهج الرسول من بعده.

لا أُريد الدخول في المباحث الكلامية بل أُريد تناول التاريخ بشيء من التحليل ولتتناولوه أنتم أيضاً بمزيد من التحليل.

لهذا البحث ـ طبعاً ـ صلة بالجميع ولا يختص بالشيعة وحدهم، فهو للشيعة وللسنّة ولجميع الفرق الإسلامية على حد سواء؛ ونظراً لما يتّصف به من الأهمية، يجب أن يحظى إذا باهتمام من قِبَل الجميع.

المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ:

وأما عن الوقائع التي جرت من بعد رحيل الرسول، فما الذي حدى بالمجتمع الإسلامي خلال تلك الخمسين سنة للنكوص عن تلك الحالة إلى هذه؟ وهذا هو أصل القضية .. ويجب أن يلاحظ متن التأريخ بشأنها.

من البديهي أنّ البناء الذي بناه الرسول ما كان لينهار بهذه السهولة؛ ولهذا نلاحظ أنّ من بعد رحيل الرسول، استمرت عامة الأمور ـ بإستثناء قضية الوصية ـ على ما كانت عليه، فكانت العدالة في وضع حسن، والذكر في حالة حسنة، والعبادة على ما يرام، وإذا نظر المرء إلى الهيكل العام للمجتمع الإسلامي في سنواته الأولى يجد الأمور كما كانت ولم يرجع شيء القهقرى.

نعم، كانت تقع بعض الحوادث بين الفينة والأخرى، إلاّ أنّ ظواهر الأمور كانت تعكس بقاء نفس الأُسس والركائز التي وضعها الرسول، بَيْدَ أن ذلك الوضع لم يدم طويلاً، فكلما كان الوقت يمضي كان المجتمع الإسلامي ينحدر تدريجياً صوب الضعف والخواء.

ثمّة نقطة في سورة الحمد أشرت إليها عدّة مرّات في لقاءات مختلفة.

فحينما يدعو الإنسان ربّه: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ يُوضّح بعدها معنى ذلك الصراط المستقيم في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ فهو تعالى قد أنعم على كثير من الأقوام والأمم؛ فأنعم على

بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1] والنعمة الإلهية لا تختص بالأنبياء والصالحين والشهداء: ﴿أُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾[2] هؤلاء أيضاً نالوا النعمة، وكذلك بنو إسرائيل نالوا النعمة.

والذين يُنعم عليهم فريقان:

فريق حينما ينال النعمة لا يتعرض لغضب الله، ولا يحقق دواعي الغضب الإلهي ولا يضل سبيل الهداية، وهؤلاء هم الذين ندعوا الله أن يهدينا سبيلهم، وعبارة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[3] تمثّل في الحقيقة صفة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[4] أي أنّ صفة (الذين) هي ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

أما الفريق الآخر فهم الذين حينما أنعم الله عليهم، بدّلوا النعمة وتمرّدوا عليها، ولهذا حلّ عليهم غضبه، أو أنهم إئتمّوا بأولئك فضلّوا السبيل.

وتشير رواياتنا إلى أنّ المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، وهذا البيان مصداق لتلك الحقيقة؛ لأن اليهود وحتى زمن النبي عيسى، كانوا يحاربون النبي موسى وأوصياءه عن علم وقصد، أمّا (الضالين) فهم النصارى.. إنهم ضلّوا بادئ بدء، أو ضلّ أكثرهم على أدنى الإحتمالات، حينما أنعم الله عليهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٣ - ٤) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

أمّا المسلمون فأنزل الله عليهم نعمته.. إلاّ أنّ النعمة تبدّلت ـ نتيجة لِما اقترفوه ـ صوب المغضوب عليهم وصوب الضالين.

ولهذا ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «لما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض»[1] وذلك لأنه إمام معصوم.

ويُفهم من هذا أنّ المجتمع الذي ينال النعمة الإلهية قد يسير في إتجاه يجلب عليه غضب الله؛ ولهذا يجب توقّي أقصى درجات الدقّة والحذر في المسير، وهو أمر عسير ـ طبعاً ـ ويستلزم الإنتباه واليقظة.

حقائق ينقلها لنا التاريخ

أورد في ما يلي بعض الأمثلة: فالخواص والعوام أصبح لكل منهما وضعه الخاص به، فإذا ضلّ الخواص قد يدخلون في فئة «المغضوب عليهم»، أما العوام قد يصبحون في فئة «الضالين». وكتب التاريخ زاخرة ـ طبعاً ـ بالمصاديق والأمثلة، وسأنقل لكم ـ من هنا فصاعداً ـ مما جاء في تاريخ ابن الأثير، وأجتنب النقل من أي مصدر شيعي، بل ولا أنقل حتى من مصادر التاريخ السنيّة التي يشكّك السنّة في رواياتها، مثل ابن قتيبة الدينوري؛ إذ جاء في كتابه «الإمامة والسياسة» أمور وقضايا تثير الحيرة.

حينما ينظر المرء إلى مضامين كتاب ابن الأثير الموسوم بـ «الكامل في التاريخ» يشعر بوجود عصبية أموية وعثمانية فيه،

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٦٨.

وأحتمل أنه انتهج ذلك الأسلوب مداراة لبعض الإعتبارات، فقد نقل هذا المؤرّخ عن أحداث مقتل عثمان، أنّ عثمان قتله أهل مصر والكوفة والبصرة والمدينة وغيرهم. وبعدما نقل نصوص وأخبار تاريخية مختلفة يقول: وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتل [عثمان]؛ لعلل دعت إلى ذلك.

وعند نقله لقصة أبي ذر، وكيف أنّ معاوية حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء، ونُفي من المدينة إلى الربذة بصورة شنيعة، قال: وقد حصلت أمور لا يصح نقلها، وعلى هذا فإمّا أن يكون هذا المؤرّخ قد انتهج أسلوباً من الرقابة الشخصية ـ حسب التعبير المعاصر ـ وإمّا أن يكون متعصباً. وهو على كل الأحوال لم يكن شيعياً ولا يميل إلى التشيّع، بل يحتمل أنه كان أُموي وعثماني الهوى، وأؤكّد ثانية على أنّ كل ما سأورده بعد الآن إنما أنقله عن ابن الأثير هذا.

أنقل في ما يلي أمثلة عن الخواص؛ كيف كان الخواص على امتداد هذه السنوات الخمسين بحيث وصلت الأمور إلى هذا الحد؟ وحينما أُدقق النظر في أحداث وظروف ذلك العصر أُلاحظ أنّ هذه الركائز الأربعة: العبودية، والمعرفة، والعدالة، والمحبة.. قد تزعزعت، وأضرب لكم بعض الأمثلة كما وردت في التاريخ عيناً.

كان سعيد بن العاص من بني أمية ومن أقارب عثمان، وقد تولّى بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ والوليد هو الشخص الذي

شاهدتم مقتطفات من حياته في المسلسل التلفزيوني: الإمام علي عليه السلام، والذي وقع مقتل الساحر في محضره ـ ليُصلح ما كان قد أفسده الوليد.

قال ذات يوم رجل في مجلسه: «ما أجود طلحة!» ولابدّ أنّ طلحة كان قد وهب أحداً مالاً أو تكرّم على شخص، فقال سعيد: «إنّ مَن له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً»[1] وكانت النشاستج ضيعة كبيرة قرب الكوفة يملكها صحابي الرسول، طلحة بن عبيد الله الذي كان يعيش حينذاك في المدينة، ثم أردف قائلاً: «والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً»[2].

قارنوا بين هذا الوضع وبين حالة الزهد في عهد رسول الله والفترة الأولى من بعد رحيله، ولاحظوا طبيعة الحياة التي كان يعيشها الأكابر والأمراء والصحابة في تلك السنوات، وكيف كانوا ينظرون إلى الدنيا.

لقد وصلت الأمور إلى هذا الحد من بعد مضي عشر سنوات أو خمسة عشر سنة فقط!

المثال الآخر هو أبو موسى الأشعري.. والي البصرة ـ وهو الأشعري صاحب الموقف الشهير في قضية التحكيم ـ فقد صعد المنبر ذات يوم، حينما كان والياً على البصرة.. كان الناس يستعدون لإحدى الغزوات .. فنادى في الناس وحثّهم على الجهاد وذكر شيئاً

(١ ـ ٢) الكامل، لابن الأثير: ج ١٣٧ ـ ١٤٠.

في فضل الجهاد ماشياً، فترك نفر دوابهم وأجمعوا أن يخرجوا رجّالة طمعاً في الثواب. «فحملوا على فرسهم»[١] أي طردوها من أمام عيونهم لأنها تحرمهم من الثواب، إلاّ أنّ جماعة آخرين من العقلاء فضّلوا التأمل ومشاهدة حقائق الأمور وقالوا لا نعجل في شيء حتى ننظر ما يصنع؛ فإن أشبه قوله فعله، فعلنا كما يفعل.

جاء في نص عبارة ابن الأثير في هذا الصدد: «فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً»[٢] كانت تلك ممتلكاته الثمينة وكان مضطراً إلى اصطحابها حيثما حل وارتحل وحتى في ميادين الجهاد.

وسبب ذلك أنه لم تكن ثمة مصارف أو بنوك في ذلك العصر، أضف إلى أن الحكومات لا اعتبار لها، فقد يأتيه الأمر من الخليفة وهو في ساحة الجهاد بعزله من منصبه، وإذ حصل ذلك لا يمكنه الرجوع إلى البصرة وأخذ تلك الأموال، لذلك كان مضطراً لحملها معه. فحمل ممتلكاته الثمينة على أربعين بغلاً وأخذها معه إلى ميدان الجهاد.

فلما خرج جاءه قوم وتعلّقوا بعنانه وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغّبتنا، فضرب القوم بسوطه، فتركوا دابته.. فمضى، إلاّ أنهم ـ طبعاً ـ لم يتحمّلوا ذلك منه بل ذهبوا إلى المدينة وشكوه إلى عثمان، فعزله.

إنّ أبا موسى الذي كان من صحابة الرسول ومن طبقة الخواص، كان على مثل هذا الحال!

(١ ـ ٢) الكامل، لابن الأثير: ج ٣، ص ٩٩ و ١٠٠.

المثال الثالث هو سعد بن أبي وقاص الذي عيّن والياً على الكوفة.

اقترض سعد مالاً من بيت المال. لم يكن بيت المال، بيد الوالي؛ لأنهم كانوا في ذلك العصر يُنصّبون الوالي للقيام بأمور الحكومة وإدارة شؤون الناس، ويُنصّبون شخصاً غيره للشؤون المالية وهو مسؤول أمام الخليفة مباشرة، وحينما عين سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة، كان خازن بيت المال عبد الله بن مسعود وكان صحابياً جليلاً.

بعدما اقترض سعد من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً، تقاضاه ابن مسعود بعد مدّة، فلم يتيسّر له قضاؤه، فارتفع بينهما الكلام، واشتد النزاع وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص حاضراً ـ وهو من أصحاب أميرالمؤمنين وكان رجلاً شريفاً ـ فقال: إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ والناس ينظرون إليكما، لا تتنازعا وحاولا حلّ القضية بينكما على نحو ما، فخرج ابن مسعود ـ وكان رجلاً أميناً ـ ثم استعان بأناس على استخراج المال من دار سعد، وهذا يعني أنّ المال كان موجوداً، ولما علم سعد استعان بأناس آخرين على منع أُولئك، ونتجت عن مماطلة ابن أبي وقّاص في رد الأموال منازعة شديدة.

فإذا كان سعد بن أبي وقاص وهو من أصحاب الشورى الستّة قد وصل به الأمر إلى هذا الحد بعد بضع سنوات بحيث وصف ابن الأثير تلك الحادثة بالقول: «فكان أول ما نُزِع به بين أهل الكوفة»[1].

---

(١) الكامل، لابن الأثير: ج ٣، ص ٨٢ و ٨٣.

فأول نزاع يقع بين أهل الكوفة ـ بتعبير ابن الأثير ـ سببه رجل من الخواص تغلّب عليه حب الدنيا إلى هذا الحد.

المثال الآخر هو أنّ المسلمين لَمّا فتحوا بلاد أفريقية وقسّموا الغنائم في الجيش، كان يجب عليهم إرسال خمس تلك الأموال إلى المدينة، وكان مقدارها هائلاً.

نقل ابن الأثير في موضع آخر أنّ هذا المبلغ حينما أرسل إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار، وكان هذا المبلغ ضخماً جداً، إضافة إلى أنّ قيمة ذلك الخمس كانت أكبر من ذلك المبلغ بكثير، وكان هذا مما أُخذ على الخليفة عثمان في ما بعد، وكان عثمان يعتذر عن ذاك ـ طبعاً ـ ويقول: إنه رحمي، وأنا أصل به رحمي؛ لأنه يعيش في ضنك وأنا أُريد مساعدته! وخلاصة القول هي: إنّ الخواص كانوا يتهافتون على جمع الأموال.

والقضية الأخرى هي: [عثمان] إنه عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان الأخير من أقارب الخليفة، ولما دخلها تعجّب أهلها من تولية هذا الشخص عليهم؛ لأنه كان معروفاً بالحماقة والفساد، وفيه نزلت الآية الشريفة: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1].

أي إنّ القرآن وصفه بالفسق، لأنه جاء بخبر عاد بالضرر على البعض في عهد الرسول.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

أُنظروا إلى المعـايير والمقـاييس وتبـدّل أحـوال النـاس، فهـذا الشخص الذي سمّاه القرآن ـ الـذي كـان النـاس يقرؤونـه يوميـاً ـ فاسقاً أصبح والياً.

وحتى إنّ سعد بن أبي وقاص نفسه، وعبد الله بن مسعود تعجّبا حين شاهداه قادماً إلى الكوفة والياً، وقال له عبد الله بن مـــسعود لمـا وقع بصره عليه: «ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس؟»[١]. وكانت دهشة سعد بن أبي وقاص من بُعد آخر، حيث قال له: «أكـست بعدنا أم حمقنا بعدك؟»[٢] فقال له الوليد: «لا تجزعنً ابا اسحق، كـل ذلـك لم يكن إنما هو الـملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون»[٣].

فتألّم سعد بن أبي وقاص من هـذا الكـلام؛ فهـو مـن صـحابة رسول الله، وقال له: «أراكم جعلتموها ملكاً!»[٤].

كان عمر سأل سلمان ذات مرّة: «أملك أنا أم خليفة؟»[٥].

وكان سلمان شخصية كبيرة ومحترمة وهو من الـصحابة الكبـار ولرأيه وزن كبير، فقال له سلمان: إنّ أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقّه فأنت ملك لا خليفة.

لقد بيّن له المعيار، قال ابن الأثير: فبكى عمر.

فقد كانت موعظة عميقة المغزى حقّاً، فالقـضية قـضية خلافـة، والولاية والخلافة معناها الحكومة المقرونة بالمحبّـة وبـالتلاحم مـع

(١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥) الكامل، لابن الأثير: ج ٣، ص ٨٢ و ٨٣.

الجماهير، ويواكبها عطف وحنو على أبناء الشعب، وهي ليست تسلّط أو تحكّم، في حين لا تحمل الملكية مثل هذا المعنى ولا شأن لها بشؤون الناس؛ فالملك حاكم متسلّط يفعل ما يشاء.

هكذا كان حال الخواص، وإلى هذا الحد انتهى بهم المآل خلال تلك السنوات؛ وهذا ما حصل ـ طبعاً ـ في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يولون أهمية للتمسك بالأحكام، بسبب معايشتهم فترة طويلة لعهد الرسول الذي لازال صداه ﷺ يدوي في المدينة حتى ذلك الحين، وكان شخص كعلي بن أبي طالب حاضراً في ذلك المجتمع، ولكن بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق تجاوزت القضية تلك الحدود كثيراً.

كانت هذه أمثلة بسيطة لِما كانت عليه أحوال الخواص، ولو نقّب شخص في تاريخ ابن الأثير أو المصادر التاريخية الأخرى المعتبرة لدى الأخوة المسلمين لعثر على آلاف ـ وليس مئات ـ الأمثلة من هذا القبيل؛ لأنه من الطبيعي حينما تضيع العدالة، وحينما تزول عبودية الله، يصبح المجتمع مجتمعاً خاوياً وتفسد النفوس، فذلك المجتمع حين يصل به التهافت على حطام الدنيا واكتناز الثروة إلى ذلك الحد، والشخص الذي ينقل فيه المعارف للناس هو كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم لاحقاً ولم يدرك عهد الرسول؛ فهو لم يدخل الإسلام في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وإنّما في عهد عمر، وتوفي في عهد عثمان.. ما بالُك بذلك المجتمع؟!

يقول البعض: إنّ تسمية هذا الرجل بكعب الأخبار خطأ، وإنما هو «كعب الأحبار»، والأحبار جمع حبر، والحبر هو عالم اليهود.

فهذا الرجل كان قطب علماء اليهود.. وثب.. فدخل في الإسلام، ثم أخذ يتحدّث في مسائل الإسلام، وكان ذات يوم جالساً في مجلس عثمان إذ دخل أبو ذر، فقال قولاً أغضب أبا ذر، فقال أبو ذر: مالك ههنا؟ أتعلّمنا الإسلام وأحكامه ونحن سمعناها من رسول الله ﷺ؟

حينما تفتقد المعايير وتضيع المقاييس وتتقوّض القيم، وتفرغ القضايا من المحتوى .. وتقتصر على الظواهر، وحينما يستولي حب الدنيا وجمع المال على أُناس قضوا عمراً مديداً بالعزة والزهد في زخارف الدنيا وقُيِّض لهم نشر تلك الراية عالياً، حينها يتصدى لشؤون الثقافة والمعرفة مثل ذلك الشخص الذي اعتنق الإسلام لاحقاً ويطرح باسم الإسلام ما يراه هو شخصياً لا ما يقوله الإسلام، ثم يريد البعض تقديم قوله على قول مُسلمٍ لهُ سابقة في الإيمان!

هذا حال الخواص.

ثم إنّ العوام يتّبعون الخواص ويسيرون وراءهم حيثما ساروا؛ ولهذا فإن من أكبر الجرائم التي ترتكبها الشخصيات البارزة المتميّزة في المجتمع هو إنحرافها؛ لأن إنحرافها ينتهي إلى إنحراف الكثير من الناس الذين إذا رأوا القيم قد خُرقت وأنّ الأعمال تناقض الأقوال وتناقض ما جاء في سنة الرسول، تجدهم يسيرون هم أيضاً في هذا المسار أُسوةً بالخواص.

وأنقل لكم مثلاً عن عامة الناس.. كتب والي البصرة إلى الخليفة يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عن المصارف، وسأله أن يزيد أهل البصرة خراج مدينتين، ولما بلغ أهل الكوفة ذلك سألوا واليهم عمار بن ياسر ـ الرجل النبيل الذي بقي صامداً كالطود الشامخ.. ولا شك في أنه كان هناك أشخاص لم تهزّهم الهزاهز إلاّ أنّ عددهم كان قليلاً ـ أن يكتب للخليفة يطلب منه أن يزيدهم خراج مدينتين، إلاّ أنه رفض تلبية طلبهم فأبغضوه لذلك وشكوه إلى الخليفة، فعزله عن الولاية.

ووقع مثل هذا لأبي ذر ولآخرين، ولعل عبد الله بن مسعود كان أحدهم، فحينما لا تراعى مثل هذه الجوانب يتجرّد المجتمع حينها من القيم، وهنا تكمن واحدة من تلك العبر.

أهمية التقوى:

إعلموا يا أعزائي أنّ المرء لا يقف على حقيقة مثل هذه التطورات الإجتماعية إلاّ بعد مرور وقت طويل؛ وهذا ما يوجب علينا الإنتباه والحذر والمراقبة؛ وهو معنى التقوى.. فالتقوى معناها: أن يتحرّز على نفسه من ليس له سلطان إلاّ على نفسه، وأن يتحرّز على نفسه وعلى غيره من له سلطان على غيره أيضاً.

أما الذين يقفون على رأس السلطة فيجب عليهم التحرّز على أنفسهم وعلى المجتمع كلّه؛ لكي لا ينزلق نحو التهافت على الدنيا والتعلق بزخارفها، ولا يسقط في هاوية حب الذات.

وهذا لا يعني ـ طبعاً ـ الإنصراف عن بناء المجتمع، بل يجب بناء المجتمع والإستكثار من الثروة، ولكن لا لأنفسهم، فهذا مستقبح.

كل من لديه قدرة على زيادة ثروة المجتمع والقيام بإنجازات كبرى، يكسب ثواباً عظيماً، لقد استطاع البعض خلال هذه السنوات بناء البلد ورفع راية الإعمار عالياً وإنجاز أعمال كبرى، وهذه مفخرة لهم، ولا يدخل عملهم هذا في إطار حب الدنيا، وإنما يصدق حب الدنيا، فيما لو كان المرء يطلب النفع لذاته ويعمل لنفسه، أو يفكر في جمع الثروة لنفسه من بيت مال المسلمين أو من غيره؛ وهذا هو التصرّف القبيح.

يجب إذا الحذر من الوقوع في مثل هذه المنزلقات، وإذا انعدم الحذر ينحدر المجتمع تدريجياً نحو التخلّي عن القيم، ويبلغ مرحلة لا تبقى له فيها سوى القشرة الخارجية، وقد يأتيه على حين غرّة ويفاجئه ابتلاء شديد ـ كالإبتلاء الذي تعرّض له ذلك المجتمع حين اندلاع ثورة أبي عبد الله ـ فلا يخرج منه ظافراً.

عُرضت على عمر بن سعد ولاية الري؛ وكانت الري في ذلك الوقت ولاية شاسعة وغنيّة.

ولم يكن منصب الإمارة [على عهد بني أُمية] كمنصب المحافظ في الوقت الحاضر؛ فالمحافظون اليوم موظفون حكوميون يتقاضون مرتبات ويبذلون جهوداً شاقّة، ولم يكن الأمر حينذاك على هذا النحو.

الشخص الذي يُنصّب والياً كان مطلق اليد في التصرّف بجميع الثروات الموجودة في تلك المدينة، يتصرّف فيها كيف يشاء بعد أن يرسل مقداراً منها إلى عاصمة الخلافة، ولهذا كان لمنصب الوالي أهمية عظمى.

ثم شرطوا تولّيه الري بمحاربة الحسين عليه السلام.

من الطبيعي أنّ الإنسان النبيل وصاحب القيم لا يتردد لحظة في رفض مثل هذا العرض، ما قيمة الري وغير الري؛ لو وضعت الدنيا بين يديه فلا يعبس بوجه الحُسين.. لا يكفهر بوجه الحسين؛ فما بالك بالنهوض لمحاربة عزيز الزهراء وقتله هو وأطفاله.

هكذا يقف الإنسان الذي يحمل قيماً.

ولكن حينما يكون المجتمع خاوياً ومجرداً من القيم، وحينما تضعف هذه المبادئ الأساسية بين أفراد المجتمع، ترتعد الفرائص عند ذاك، وأكثر ما يستطيع المرء عمله في مثل هذا الموقف هو أنه يستمهلهم ليلة واحدة للتفكير في الأمر، وحتى لو أنه فكّر سنة كاملة لوصل إلى نفس النتيجة ولاتخذ نفس القرار؛ إذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التفكير، إلاّ أنّ الرجل فكّر في الأمر ليلة وأعلن في اليوم التالي عن موافقته على ذلك العرض، إلاّ أنّ الله تعالى لم يمكّنه من بلوغ تلك الغاية.

وكانت نتيجة ذلك أن وقعت فاجعة كربلاء.

الوجه الآخر لملحمة عاشوراء:

أُشير هنا بكلمة في تحليل واقعة عاشوراء .. شخص كالحسين عليه السلام ـ والحسين تجسيد لكل القيم الإلهية والإنسانية ـ ينهض بالثورة حتى يقف بوجه استشراء الإنحطاط الذي أخذ يتفشّى في أوصال المجتمع، وأوشك أن يأتي على كل شيء فيه.

بلغ الإنحطاط أن لو شاء الناس العيش حياة إسلامية كريمة، فإنهم يجدون أيديهم خالية من كل شيء، وفي ظرف كهذا يثبت الإمام الحسين ويقف بكل وجوده أمام ذلك الخواء والفساد المتصاعد، ويضحّي من أجل القيم الإلهية بنفسه وبأحبّائه وبإبنيه: علي الأصغر وعلي الأكبر، وبأخيه العباس.. ثم يصل إلى النتيجة المطلوبة.

أحيى الحسين جدّه رسول الله، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وأنا من حسين». هذا هو الوجه الآخر للقضية.

فواقعة كربلاء الزاخرة بالحماسة، وهذه الملحمة الخالدة لا يمكن إدراك كنهها إلاّ بمنطق العشق وبمنظار الحب، فهي واقعة لا يتيسّر النظر إليها إلاّ بعين العشق ليُفهم ما الذي صنعه الحسين بن علي من بطولة ومجد خلال يوم وليلة، أي منذ عصر يوم التاسع من المحرم وحتى عصر العاشر منه .. بحيث خلّده في هذه الدنيا وسيخلّده إلى الأبد، ولهذا أخفقت جميع الجهود التي بذلت لمحو حادثة الطف من الأذهان وطيّها في أدراج النسيان.

مقتطفات من واقعة الطف:

أقرأ عليكم مقتطفات من كتاب المقتل ـ المعروف باللهوف ـ لابن طاووس.. نمرّ على بعض تلك المشاهد العظيمة لذكر مصيبة الحسين عليه السلام.

وكتاب المقتل هذا، كتاب معتبر جداً، ومؤلفه السيد علي بن طاووس عالم فقيه وعارف كبير، وصدوق موثّق، وموضع احترام لدى الجميع، وأستاذ فقهاء كبار، وكان أديباً وشاعراً وذا شخصية بارزة، كتب أول مقتل مُعتبر وموجز.

وقبل كتاب اللهوف كتب الكثير في مقتل الحسين عليه السلام، وحتى أستاذه ـ ابن نما[1] ـ له كتاب في المقتل، والشيخ الطوسي أيضاً له كتاب في المقتل، وغيرهما. إلاّ إنه حينما كتب (اللهوف) غطّى على جميع الكتب الأخرى في المقتل؛ لأنه كتاب قيّم اختيرت عباراته بدقّة وإيجاز.

من جملة المشاهد التي يصوّرها في كتابه هذا هو بروز القاسم بن الحسن إلى الميدان، وكان فتىً لم يبلغ الحلم.

ليلة عاشوراء أعلم الحسين أصحابه بأن المعركة ستقع وأنهم سيقتلون جميعاً، فأحلهّم وأذن لهم بالإنصراف، فأبوا إلاّ أن يكونوا إلى جنبه، وفي تلك الليلة سأل هذا الفتى عمّه الإمام الحسين عليه السلام، هل سيقتل هو أيضاً في ساحة المعركة؟ فأراد الإمام الحسين اختباره

---

(١) الشيخ نجم الدين جعفر بن نما.

ـ على حد تعبيرنا ـ فقال له: كيف ترى الموت؟ قال: أحلى من العسل.

لاحظوا، هذا مؤشر على طبيعة القيم التي كان يحملها أهل بيت الرسول، ومن تربّى في حجور أهل البيت، فقد ترعرع هذا الفتى منذ نعومة أظفاره في حجر الإمام الحسين عليه السلام فكان عمره حين شهادة أبيه ثلاث أو أربع سنوات، فتكفّل الإمام الحسين تربيته، وفي يوم عاشوراء وقف هذا الفتى إلى جانب عمّه.

وجاء في هذا المقتل ذكر هذه الواقعة على النحو التالي: «قال الراوي: وخرج غلام كأن وجهه شقّة القمر وجعل يقاتل»[1].

لقد دوّن الرواة كل أحداث ووقائع عاشوراء بتفاصيلها؛ فذكروا اسم الضارب والمضروب ومَن ضرب أولاً، واسم أول من رمى، ومن سلب، ومن سرق.

فالشخص الذي سرق قطيفة أبي عبد الله ذكروا اسمه، وكان يُطلق عليه في ما بعد لقب: «سارق القطيفة».

ومن الواضح أنّ أهل البيت ومحبيّهم لم يتركوا هذه الحادثة تضيع في مجاهل التاريخ.

«فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه.

فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر، وشدّ شدّة ليث أغضب، فضرب ابن فضيل بالسيف فأتقاها بساعده فأطنّها من لدن المرفق،

---

(١) اللهوف، للسيد ابن طاووس.

فصاح صيحة سمعه أهل العسكر، فحمل أهل الكوفة لينقذوه، فوطأته الخيل حتى هلك»[١].

دارت معركة عند مصرع القاسم.. هزمهم الحسين عليه السلام بعد أن قاتلهم.

قال الراوي: «وانجلت الغبرة، فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجله، والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك»[٢].

ياله من مشهد مؤثر يعكس رِقّة الحسين وحبّه لهذا الفتى من جهة، وصلابته ـ إذ أذن له في القتال والتضحية ـ من جهة أخرى.

كما ويدلّ أيضاً على ما لهذا الفتى من عظمة روحية، وما يتّصف به الأعداء من قسوة تجعلهم يتصرّفون مع هذا الفتى بمثل هذا السلوك.

ويصوّر كتاب اللهوف مشهداً آخر من مشاهد تلك الواقعة وهو بروز علي الأكبر للقتال، وكان مشهداً مثيراً حقّاً من جميع أبعاده وجوانبه،فهو مثير من جهة الإمام الحسين، ومثير من جهة هذا الشاب ـ علي الأكبر ـ ومثير من جهة النساء وخاصة عمّته زينب الكبرى.

وذكروا أنّ عليّاً الأكبر كان بين الثامنة عشر إلى الخامسة والعشرين سنة من عمره، أي أنه كان في الثامنة عشر من عمره على أقل التقادير، أو ما بينها، وبين الخامسة والعشرين أو في الخامسة والعشرين على أعلى التقادير.

(١ ـ ٢) اللهوف، للسيد ابن طاووس.

قال الراوي: «خرج علي بن الحسين، وكان أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، فاستأذن أباه في القتال، فأذن له»[١].

لما جاءه القاسم بن الحسن واستأذنه، لم يأذن له في بداية الأمر، وبعد أن ألحَّ الغلام أذن له. أما بالنسبة لعلي بن الحسين، فبما أنه ابنه، فما أن استأذن حتى أذن له. «ثم نظر إليه نظرة آيسٍ منه وأرخى عليه السلام عينيه وبكى»[٢].

هذه هي إحدى الخصائص العاطفية التي يتميّز بها المسلمون، وهي البكاء عند المواقف والأحداث المثيرة للعواطف.

فأنتم تلاحظون أنه عليه السلام بكى في مواقف متعددة، وليس بكاؤه عن جزع ولكنه لشدّة العاطفة.

والإسلام ينمّي هذه العاطفة لدى الفرد المسلم.

ثم قال: «اللهم اشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك»[٣].

أريد أن أبيّن لكم هنا مسألة، وهي: أن فترة الطفولة التي عاشها الحسين إلى جنب جدّه، كان النبي يحبه كثيراً، وكان هو بدوره أيضاً شديد الحب لرسول الله.

وكان تقريباً في السادسة أو السابعة من عمره عند وفاة الرسول وبقيت صورته عالقة في ذهنه، وحب الرسول متجذّر في أعماق قلبه.. ثم رزقه الله في ما بعد ولداً، هو علي الأكبر.. مضت الأيام

(١ ـ ٢ ـ ٣) اللهوف، للسيد ابن طاووس.

وشبّ هذا الفتى وإذا به يشبه في خلقته رسول الله تمام الشبه، فترسّخ حبّه في قلب الحسين كحبّه للنبي، فكان هذا الفتى يشبه النبي في شكله وشمائله وفي صوته وكلامه وفي أخلاقه، ويحمل نفس ذلك الكرم والشرف المحتد.

ثم قال ﷺ: «وكُنا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه»[١].

ثم صاح الحسين ﷺ: «يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي»[٢].

فتقدّم علي الأكبر نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً، ثم رجع إلى أبيه وقال: «يا أبه العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل»؟[٣].

فقال له الحسين: «قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها»[٤].

فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم القتال، وبعد أن ضُرب نادى: «يا أبتاه عليك السلام، هذا جدّي يقرؤك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا»[٥].

هذه مشاهد مروّعة من تلك الواقعة الخالدة.

وجرت في مثل هذا اليوم ـ الحادي عشر من محرم ـ الذي يعتبر يوم زينب الكبرى ﷺ مصائب مفجعة؛ فهي قد أخذت على عاتقها منذ لحظة استشهاد الحسين ثقل الأمانة. وقطعت ذلك الشوط بكل

(١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥) مقتل اللهوف. للسيد ابن طاووس.

شجاعة وإقتدار وكما هو خليق ببنت أميرالمؤمنين؛ وهم الذين استطاعوا تخليد الإسلام وصيانة معالم الدين.

ولم تكن واقعة الطفوف هذه استنقاذا لحياة شعب أو حياة أمّة فحسب، وإنّما كانت استنقاذا لتأريخ بأكمله.

فالإمام الحسين، وأخته زينب، وأصحابه وأهل بيته أنقذوا التأريخ بموقفهم البطولي ذاك.

السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك.. عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك .. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

اللهم نقسم عليك بمحمد وآل محمد أن تثبّت أقدامنا على دينك ونهج كتابك، اللهم اجعل مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً.. اللهم ولا تفرق بيننا وبين الإسلام، اللهم انصر الإسلام والمسلمين في كل أرجاء المعمورة، اللهم انشر بيننا قيَم الإسلام وأواصر الأُخوة والمحبّة والعاطفة، والعبودية لك، والعدل الشامل، اللهم أبعد عن رحمتك كل من يسعى من الأعداء لعزل مجتمعنا عن الإسلام، اللهم اجعل القلب المقدّس لولي العصر (عج) مسروراً بنا، واجعلنا من

أنصاره وأعوانه، اللهم استجب دعاءنا لشعبنا، وتلطّف برحمتك على شهدائنا الأعزّاء وعلى إمام الشهداء ﵁ وعلى جميع المعوّقين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس الكتاب